نوع الوحدة التكوينية: الأساسية

اسم المادة: المذاهب الفقهية والعقائدية

أهداف التعليم: (ذكر ما يفترض على الطالب اكتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثة أسطر على الأكثر)

- التعرف على الحركات المذهبية التي انتشرت ببلاد الغرب الإسلامي وتفاعلاتها التي أدت في الأخير إلى سيادة المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية والسلوك الصوفي.

المعارف المسبقة المطلوبة: (وصف تفصيلي للمعارف المطلوبة والتي تمكن الطالب من مواصلة هذا التعليم، سطرين على الأكثر).

- تمكين الطالب من الربط بين الوقائع السياسية ومنطلقاتها المذهبية، وما ترتب عنها حراك فكري.
- تهدف هذه المادة إلى تعريف الطالب بالتيارات الفكرية والمذهبية التي عرفتها بلاد المغرب والأندلس، والتي كانت في غالبها وافدة من المشرق الإسلامي، مما يسمح له بتكوين خلفية معرفية يستطيع من خلالها تفسير العديد من المظاهر السياسية والاجتماعية.

محتوى المادة: (إجبارية تحديد المحتوى المفصل لكل مادة مع الإشارة إلى العمل الشخصي للطالب)

- بعثة الفقهاء العشرة ودورها في انتشار الاسلام بعد الفتوحات.
- انتشار المذهبين الصفري والاباضي ببلاد المغرب (الدعوة، الثورة، الدولة)
- ـالمعتزلة ببلاد المغرب.
- ـالمذهب السماعيلي من الدعوة إلى الدولة.
- المذهب المالكي (دخوله وانتشاره ونضاله ضد المذاهب الأخرى)
- المذهب الظاهري ببلاد المغرب.

- المذهب الموحدي.
- العقيدة الأشعرية وانتشارها ببلاد المغرب
- **بعثة الفقهاء العشرة ودورها في انتشار الاسلام بعد الفتوحات.**

1- الأوضاع المذهبية والفكرية قبيل منتصف قرن 2هـ/8م.

يعتبر الجانب المذهبي والعقدي، أهم الجوانب التاريخية أهمية وتأثيرا، ذلك لأن حركة الفتح وما تلاه بعد ذلك، إنما كان محورها الأساسي العقيدة، والتي تحولت إلى نشاط فكري صار يستقطب أهل المغرب من البربر، كما أنها سبب اختلال التوازن الحاصل، بعد دخول تيارات عقدية أخرى من غير السنة، حيث راج مذهب الخوارج والشيعة والمعتزلة.

وكان أول عمل قام به الفاتحون هو نشر الدين الإسلامي، وتبليغ دين الله الى الأمم، فكان هو الهدف الأسمى، وقد تكفل بنشر العقيدة رجال الفتح أنفسهم، وبخاصة أن الجيش كان يضم كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]، رغم ما كان يشغلهم من أمر الفتح وإعداد الجيوش[2].

وما إن وطأ هذا الدين أرض المغرب حتى انتشرت أحكامه وعقائده السمحة، لتنظيم حياة الناس، وانتشالهم من وحل العقائد التي كانوا يدينون بها قبل مجيئه، حيث أدرك أهل المغرب الفرق بينه وبين عقائدهم ومعتقداتهم البدائية، مثل عبادة الأصنام والأوثان، والاعتقاد الكبير في السحر، وديانات أخرى استمدوها ممن وطأ أرضهم، كالبزنطيين الذين تركوا الديانة النصرانية، والتي استطاعت جذب نفر من البربر، وبخاصة البرانس الذين وطنوا المناطق الساحلية، والتي كانت قريبة من المناطق التي تركزت فيها الجاليات الرومانية والبيزنطية[3].

[1] عن بعض من قدم من الصحابة في جيوش الفتح ينظر: الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 33.
[2] ابراهيم التهامي، المرجع السابق، ص 29.
[3] يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ج1، ص 87.

ونحن وإن لم تكن لدينا معلومات كافية عن معتقدات البربر الدينية قبيل الفتح الإسلامي، ولكنه يفهم من القطع المتناثر التي أوردها المؤرخون بهذا الشأن أن البربر كانت تنتشر فيهم المجوسية والوثنية والنصرانية[1]، ولما كانت الجبال مناطق انعزال فربما لم يكن من الغريب أن تعيش فيها بعض الجماعات، وهي محافظة على شيء من العادات والتقاليد القديمة، والتي لم يستطع الإسلام أن يقتلعها من جذورها العميقة تمامًا خلال هذه المرحلة[2].

وعلى الرغم من وجود هذه المعتقدات إلا أن انتشارها كان محدوداً، فعانت ضعفاً شديداً لدى معتنقيها؛ ومن ثم كانت بلاد المغرب مهيَّأة لانتشار الإسلام بها، لاسيما وأن الإسلام امتاز بالبساطة والوضوح والتناسب مع عقلية البربر، إذ لم تتمكن من الصمود أمام الانتشار القوي للدين الإسلامي، الذي مكنته خاصيتاه العقدية والعلمية، أن يتمكن من نفوس البربر، حتى صاروا دعاة له، يحملون لواءه بالسيف والقلم، وهذا بجهود من شاركوا في أول دخول الى هذه الأرض ومن تبعهم.

وبهذا يمكن القول أن أهل المغرب تشبثوا بمنهج السلف من الصحابة والتابعين، فاعتنوا بالتفقه بالدين، وبخاصة بعد مجيء الفقهاء العشرة، وما كان لهم من دور في تركيز المذهب السني.

دور الصحابة في نشر الاسلام

---

[1] أشار ابن أبي زرع عند حديثه عن خروج ادريس بن عبد الله الى غزو بلاد تامنسا، وبلاد تادلا، أن أكثر سكان هذه البلاد، كانو على دين النصرانية واليهودية، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 07. كما أشار البكري الى العديد من الكنائس لتي كانت بإفريقية. ينظر: البكري، المصدر السابق، ص 02، 03. شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقية الشمالية تونس الجزائر المغرب الاقصى من الفتح الى سنة 1830م، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983م، ص78،79. أوكيل مصطفى باديس، انتشار لاسلام في بلاد المغرب وآثاره على لمجتمع خلال القرن الأول الهجري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006م، ص 31، 32.

[2] الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، مطبعة مؤسسة الخدمات الطباعية، بيروت، د.ت، ص24 . سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1990م، ج1 ص113،114. أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1991م، ص16،17.

تشير النصوص الإخبارية والتي تؤرخ لبدايات الفتح الإسلامي، أن عدد كبيرا من الصحابة قدموا مع الجيش الفاتح، منهم من جاء أميرا على بلاد المغرب، ومنهم من كان قائدا لتلك الحملات، كغزوة العبادلة على إفريقية بقيادة عبد الله بن أبي سرح[1]، وقد أرسل فيها الخليفة عثمان بن عفان جيشا عظيما، يظم عدد كبيرا من الصحابة على شاكلة عبد الله بن الزبير[2]، وعبد الله بن العباس بن عبد المطلب[3]، والمسور بن مخرمة بن نوفل[4]، وغيرهم كثير كما ذكر ذلك البلاذري[5].

ومنهم الصحابة الذين كانوا مع عقبة بن نافع الفهري حين همَّ ببناء مدينة القيروان، وقد أورد ذكرهم ابن عذارى فقال: "وفي سنة 51هـ شرع عقبة – رضي الله عنه- في ابتداء بناء مدينة القيروان، وأجابه العرب الى ذلك ... وكان في عسكره ثمانية عشر رجلا من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم -، وسائرهم من التابعين"[6]، وهو الأمر الذي يجعلنا نذهب الى أنهم من حملوا هم نشر الدعوة في المدينة بعد اختطاط جامعها.

كما كان ضمن الجيش الفاتح فئة هي الأقدر على نشر الدين وتبليغ الرسالة، وهم العلماء والصلحاء، فكانت هذه الفئة تعلم الناس أمر دينهم، وتبين لهم نهج نبيهم، فانتشر

[1] هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح، أمير إفريقية، أخ لعثمان بن عفان من الرضاعة، كان يكتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم، هو ومعاوية رضي الله عنهما، دخل إفريقية غازيا وأميرا بتولية عثمان بن عفانأياه سنة 27هـ، وكان معه جماعة من صحابة رسول اللله صلى الله عليه وسلم. المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 67.

[2] هو أبو بكر عبد الله بن الزبير بن العوام، أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها، ولد بعد الهجرة بعشرين شهرا، وهو أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة، غزا إفريقية مع عبد الله بن أبي سرح سنة 27هـ، وكان هو الذي قتل جرجير، وأخذ ابنته في نفله. المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 63. الدباغ، لمصدر السابق، ج1، ص ص 112، 114.

[3] يكنى أبا الفضل، وقال بن عبد البر يكنى أبا العابس، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد بشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمسة عشر سنة، ولم يجزه النبي صلى الله عليه وسلم، وأجاز عبد الله بن عمر لكونه أسنى منه، دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "اللهم علمه الكتاب والحكمة"، فكان من العلماء بكتاب الله عز وجل، وتفسيره ومحكمه وناسخه ومنسوخه. المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 60. الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 107، 108.

[4] صحب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه، وهو صاحب بن صاحب، أسلم أبوه يوم فتح مكة، وولد المسور في السنة الثانية للهجرة، وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ابن ثماني سنين، وأمه أخت عبد الله بن عوف، دخل افريقية غازيا مع بن أبي سرح، وشهد معه المغازي والمعارك، وهو الذي حرض عثمان بن عفان على غزوها. المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 69. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج3، ص 390، 391.

[5] ينظر البلاذري، المصدر السابق، ص 307

[6] ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983م، ص 20.

بينهم المذهب السليم، وقد أقبل البربر على هذه الفئة ينتهلون منها مختلف العلوم كالقرآن والعقيدة والفقه، وهذا ما جعل بلاد المغرب تكتسب خاصية عن باقي الأقاليم فصارت من أوائل الأقاليم المفتوحة التي تجاوبت مع الإسلام ومميزاته العلمية[1]، إذ لم تمر على الفتح الى سنوات، حتى صارت الحضارة الإسلامية تملأ ربوعه.

وممن حملوا همَّ نشر الدعوة ببلاد المغرب من الصحابة، وتركوا بها أثراً كبيرا من الناحية المذهبية:

أبو زمعة عبيد الله بن آدم البلوي: شَهِدَ بيعة الرضوان، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، وغزا إفريقية مع معاوية بن حديج[2] سنة أربع وثلاثين (34هـ)[3]، وأقام بها حتى حضرته الوفاة، ودفن بباب تونس، وعليه سميت البلوية[4].

وهكذا يمكن القول أن الانطلاقة الأولى للمدرسة السنية كان مع بداية الفتح الاسلامي، وتركزت مع بناء عقبة بن نافع لمدينة القيروان، وزادت على عهد حسان بن النعمان، وترسخت خلال المرحلة التي أعقبت بعثة الفقهاء العشر، التي سنبين دورها في التمكين المذهبي والعلمي لبلاد المغرب.

دور البعثات العلمية في الحياة المذهبية والفكرية.

أ) دور البعثات العلمية غير الرسمية

لقد كان لبعض هجرات علماء المشرق الى المغرب دور كبير في تعليم وتثقيف أهل المغرب، وهذه الهجرات إنما جاءت نتيجة شعور بعض العلماء بحاجة المغرب الى

[1] يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ج1، ص 89. ابراهيم لتهامي، المرجع السابق، ص 29.

[2] ابن خفنة بن قَتِيرة الأمير، قائد الكتائب أبو نعيم، له صحبة ورواية قليلة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى أيضا عن عمر، وأبي ذر، ومعاوية، ولي بعد عزل ابن أبي سرح، وكان ذلك في سنة 40هـ. المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 27. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق،ج3، ص 33.

[3] عبد الرحمن الاسدي الأنصاري الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيزوان، تعليق أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1968م، 97، 98.

[4] المالكي، المصدر السابق، ص 84.

التزود بالعلم والعلوم الدينية، التي هي جوهر الثقافة الإسلامية وقتذاك، فتتابع مجيئهم في فترات مختلفة، وعقدوا هناك حلقات الدرس والمطالعة، حيث أقبل عليها أبناء المغرب، وكذا أبناء الجند العرب المقيمين بالبلاد إقامة دائمة[1].

وتذكر كتب التراجم والأخبار أعداد كبيرة منهم، وتناقلت سيرهم وورعهم وزهدهم عن الدنيا، وإقبالهم على الآخرة، ومن هؤلاء العلماء نذكر:

أبو عمران خالد التوجيني: كان من العلماء الراسخين في العلم، والعبَّاد المجتهدين، اشتهرت إمامته بالمشرق والمغرب[2]، وهو الذي نشر علم فقهاء المدينة بإفريقية، استقر بمدينة تونس، بعد فتحها من قبل حسان بن النعمان[3]، واستقرار الأوضاع بها في العقدين الأخيرين من القرن الأول الهجري[4].

وقد أخذ عن جماعة من من التابعين منهم: سليمان بن يسار[5]، وروى عنه من إفريقية عبد الرحمن بن زياد بن أنعم[6]، عرف بشهرة في إجابة الدعوته، كان أكثر إقامته بتونس، وكانت وفاته بها سنة خمس أو سبع وعشرين (تـ 125 أو 127هـ/ 742 أو 746م)[7].

أبو رِشْدَين حنش بن عبد الله السّبائي الصنعاني:

[1] يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص 100.

[2] المالكي، المصدر السابق، 162.

[3] ابن المُنذر الغساني، من ملوك العرب، ولي المغرب فهذبه وعمره، كان بطلا شجاعا، مجاهدا لبيبا، ميمونة النقيبة، كبير لقدر، بعث أميرا على إفريقية 69هـ في جيش قوامه ستة آلاف، وهو أول من دخل إفريقية من أهل الشام، كانت له موقعة شهيرة مع الكاهنة. المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 48. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج4، ص 140.

[4] ابن زياد ابو الحسن علي، قطعة من موطأ بن زياد، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1980م، ص 24.

[5] الفقيه الامام، عالم المدينة ومفتيها، أبو أيوب، مولى أم المؤمنين ميمونة الهلالية، وأخو عطاء بن يسار، وعبد الملك وعبد الله، ولد في خلافة عثمان بن عفان، حدث عن زيد بن ثابت، وجابر بن عبد الله، ورافع بن حديج، وابن عمر. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج4، ص 444.

[6] كان رجلا صالحا فاضلا، تابعيا، يروي عن ابن عمر، وأبي أيوب الأنصاري، روى عنه ابنه عبد الرحمن، سكن القيروان واختط بها دارا ومسجدا، في ناحية باب نافع. المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 129. الدباغ، المصدر السابق،ج1، ص 230.

[7] المالكي، المصدر السابق، ص 162، 163. حسن حسني عبد الوهاب، المصدر السابق، ص 12.

ذكر المالكي أنه من أهل الفضل والدين، يروي عن جماعة من الصحابة منهم ابن عباس[1]، وعبد الله بن عمرو بن العاص[2]، وروى عنه ابن أنعم، غزا المغرب وشهد غزو الأندلس مع موسى بن نصير[3]، وله بإفريقية آثار ومقامات، سكن القيروان، واختط بها دارا ومسجدا، وتوفي بها سنة مائة (100هـ)"[4].

عبيد بن فهد الأنصاري: ولد بالمدينة المنورة، ثم دخل إفريقية في نهاية القرن الأول للهجرة (السابع الميلادي)، اجتمع بتونس مع خالد بن أبي عمران، فنشر فيها علمه ومعارفه، وقد اشتهر بدارسة الحديث وروايته[5].

ب) دور البعثات العلمية الرسمية:

- بعثة عمر بن عبد العزيز:

لما توفي عبد الملك بن مروان، ولي الخلافة بعده عمر بن عبد العزيز، الذي استعمل على بلاد المغرب إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر[6] مولى بني مخزوم سنة

[1] حبر الأمة وفقيه العصر وإمام التفسير، أبو العباس عبد الله ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين، صحب النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من ثلاثين شهرا، وحدث عنه بجملة صالحة، روى عنه؛ ابنه علي، وابن أخيه عبد الله بن معبد، ومواليه؛ عكرمة، ومِقسم، وكُريب، وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالعلم والفقه، فعن ابن عمر؛ أن عمر دعا ابن عباس، فقربه. وكان يقول: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاك يوما فمسح رأسك، وتفل في فيك، وقال "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل". الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج3، ص 331، 332، 337.

[2] الامام الحبر العابد، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن صاحبه، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، أسلم قبل أبيه، له مناقب وفضائل، ومقام راسخ في العلم والعمل، حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علما جما، بلغ ما أسنده سبع مائة حديث. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج3، ص 80.

[3] الأمير الكبير، أبو عبد الرحمن اللخمي، متولي إقليم المغرب، وفاتح الأندلس، فيل كان مولى امرأة من لخم، وقيل: ولاؤه لبني أمية، وكان أعرج مهيبا، ذا رأي وحزم، يروي عن تميم الداري، ولي غزو البحر لمعاوية، فغزا قبرس، وبنى هناك حصونا، جرت له عجائب هائلة، وعمل مع الروم مصافا مشهودا. الذهبي، المصدر السابق، ج4، ص 497. الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 51، 52.

[4] المالكي، المصدر السابق، ص 121.

[5] عن الترجمة ينظر: المالكي، المصدر السابق، 148. يوسف ين أحمد حوالة، المرجع السابق، ص 102. حسن حسني عبد الوهاب، الامام المازري، دار الكتب الشرقية، تونس، د.ت، ص 14، 15.

[6] ستأتي ترجمته، على اعتبار أننا اعتمدنا الترتيب الذي أورده المالكي.

100 هـ[1]، وكانت ولايته عهدا ميمونا انتشر فيه العلم، فوزع الفقهاء والمعلمين على البلاد، واستقدم لهذه الغاية الشريفة طائفة من فقهاء التابعين، انتهت إليهم الإمامة والرياسة في العلم، وحفظ السنة واللغة، أمده بهم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وكانوا عشرة فقهاء[2]

وقام هؤلاء الفقهاء بتوضيح مبادئ الاسلام، وتعليم الحلال والحرام، وقد ابتنى كل واحد منهم مسجدا حول بيته لتحفيظ القرآن وتعليم العربية، وعلوم الدين، وكانوا مثالا للسلوك القويم، أهل تقوى وورع، قاموا بمهمتهم على أكمل وجه، فتم على أيديهم اسلام بقية البربر[3].

ولا شك أن هؤلاء كان لهم دور كبير في نشر اللغة العربية، لاسيما وأنها لغة القرآن، وبها يتوصل الى فهم الدين، ولعل سبب انتشارها كما أشار الباحث يوسف بن أحمد حوالة، الى أن اللغة المحلية للبربر أضعف من أن تقاوم التأثير الكبير للغة العربية، إذ أنها لم تكن مكتوبة، كما أنها تفتقر الى المفردات والقدرة البلاغية والتصويرية، والجرس الموسيقي الذي تمتلكها اللغة العربية.[4] ونحن لا نجزم بأن تعريب البربر كان في هذه المرحلة، إذ أن التعريبة لم تكتمل الا بعد هجرة بني هلال وبني سليم الى المغرب، بتوجيه من العبيديين.

وسنذكر هؤلاء الفقهاء على الترتيب الذي أورده المالكي في كتابه رياض النفوس، وقد أدرجهم المالكي ضمن الطبقة الأولى ممن دخل إفريقية وسكن القيروان وأوطنها من التابعين فقال في مقدمة حديثه عنهم: "وأبدأ منهم بذكر العشرة التابعين الذين بعثهم أمير

[1] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 48. ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 323. أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ج1، ص 46.

[2] عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق، ص 118.

[3] عبد المجيد بن حمده، المدارس الكلامية بإفريقية الى ظهور الأشعرية، مطبعة دار العرب، بن عروس –تونس-، ط1، 1986م، ص 34.

[4] يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ج1، ص 91.

المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، ليفقهوا أهل إفريقية، ويعلموهم أمر دينهم"[1] وهم:

أبو عبد الرحمن الحُبلي: واسمه عبد الله بن يزيد المعافري، كان رجلا فاضلا صالحا، يروي عن جماعة من الصحابة[2]. قال عنه الدباغ: "بعثه عمر بن عبد العزيز يفقه أهل إفريقية في الدين، فانتفعوا به وبث فيها علماً كثيراً، شهد فتح الأندلس مع موسى بن نصير، ثم سكن القيروان واختط بها داراً ومسجداً"[3]، وقال عنه أبو العرب: "ومنهم أبو عبد الرحمان الحبلي وهو عبد الله بن يزيد، مات بإفريقية وله بها مسجد"[4]. وقد أفاض المالكي في ترجمته، وذكر شيوخه وتلامذته وسيرته، توفي بالقيروان سنة 100هـ[5]، ودفن بباب تونس[6] .

أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي: قال الدباغ "هو أحد الفقهاء التابعين العشرة الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز ليفقهوا أهل القيروان، سكن القيروان وبث فيها علماً كثيرا، وكان رجلا صالحا عالما، مشهورا بالدين والفضل، قليل الهيبة للملوك، لا تأخذه في الله لومة لائم"[7].

وقال المالكي "صحب جماعة من الصحابة وروى عنهم، منهم أبو الدرداء وغيره، وروى عنه جماعة منهم: عبد الرحمن بن زياد بن أنعم[8]، توفي بالقيروان ودفن بها"[9]، ولم نجد في الترجمة ما يبين تاريخ وفاته.

[1] المالكي، المصدر السابق، ص 99.
[2] المصدر نفسه، ص 99.
[3] الدباغ، المصدر السابق ، ص184، 21. المالكي، المصدر السابق، ص 100.
[4] أبو العرب، المصدر السابق، ص 21.
5 حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص12.
[6] الدباغ، المصدر السابق، ص 184، المالكي المصدر السابق، ص 100.
[7] الدباغ، المصدر السابق، ص 184.
[8] المالكي، المصدر السابق، ص 102.
[9] ينظر: الدباغ، المصدر السابق، ص 186.

إسماعيل بن عبيد الأنصاري: الأنصاري ولاءً من أهل الفضل والعبادة والنسك، كثير الصدقة والمعروف مع علم وفقه، روى عن عبد الله بن عبَّاس، وعبد الله بن عمرو بن العاص. ويروي عنه من أهل إفريقية : بكر بن سوادة الجذامي، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم[1]، وكان من سكان القيروان. انتفع به خلق كثير من أهلها وغيرهم، وبث فيها علما كثيرا[2].

"وكان رجلا صالحا يقال له: "تاجر الله"، وكان هو الذي بنى المسجد الكبير بالقيروان، الذي يعرف الآن "بمسجد الزيتونة"، وكان يصلي به ويعمره، وإليه ينسب السوق الذي بجواره يسمى "سوق اسماعيل"، ولم يزل مقيما بالقيروان حتى حضرته نية في الجهاد، فخرج مجاهدا في مركب مطوعاً، ...فغرق رضي الله عنه وهو متقلد المصحف، وكان ذلك في سنة سبع ومائة (107هـ)"[3].

أبو الجهم عبد الرحمن التنوخي: كان من فضلاء التابعين، روى عن عبد الله بن عمرو وجماعة من الصحابة، روى عنه عبد الرحمن بن أنعم الإفريقي. سكن القيروان، وهو أول من استقضى بها بعد بنائها، وكان عدلا في أحكامه، ثقة في نفسه، توفي بالقيروان سنة ثلاثة عشر ومائة (113هـ)[4].

موهب بن حيى المعافري: كان من فضلاء التابعين، روى عن عبد الله بن عباس وغيره، روى عنه عبد الرحمن بن أنعم، سكن القيروان، وبث بها علما كثيراً، وبها كانت وفاته[5] .

[1] الدباغ، المصدر السابق، ص 191.
[2] المالكي، المصدر السابق، ص 106.
[3] المالكي، المصدر السابق، ص 107. أبو العرب، المصدر السابق، ص 20. حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 13.
[4] الدباغ، المصدر السابق، ص 198. المالكي، المصدر السابق، ص 110. حسن حسني عبد الوهاب، المصدر السابق، 13.
[5] الدباغ، المصدر السابق، ص 213. المالكي، المصدر السابق، ص 110، 111. أبو العرب، المصدر السابق، ص 20.

حبان بن حبلة القرشي: وهو من موالي بني عبد الدار، من أهل الفضل والدين، روى عن جماعة من الصحابة، منهم عبد الله بن عباس، وعمرو بن العاص وولده عبد الله. روى عنه ابن أنعم، وأبو شيبة عبد الرحمن بن يحي الصدفي[1]، توفي بالقيروان سنة خمس وعشرين ومائة (125هـ)[2].

أبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامي: كان من صلحاء التابعين وفقهائهم، روى عن عبد الله بن عمرو، وسهل بن سعد[3]، وسفيان بن وهب[4]، وكان فقيها مفتيا، سكن القيروان[5]، وكانت وفاته بها سنة ثمان وعشرين ومائة (128هـ)، وقيل أنه غرق في مجازه للأندلس[6].

أبو سعيد جعثل بن عاهان: كان فقيها صالحا، ولاه هشام بن عبد الملك قضاء جُند إفريقية[7]، وكان أحد القراء الفقهاء، وتشير المصادر أنه توفي قريباً من سنة 115هـ[8].

إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر القرشي المخزومي: مولا لبني مخزوم، كان في مقدمة هؤلاء العشرة[9] من أهل الدين والزهد[10]، استعمله عمر بن عبد العزيز على أهل إفريقية ليحكم بينهم ويفقههم في الدين سنة تسع وتسعين، وقيل سنة مائة، فسار فيهم بالحق،

---

[1] محدث مصري، توفي سنة 133هـ. ينظر: المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 111.

[2] المالكي، المصدر السابق، ص 111. الدباغ، المصدر السابق، ص 209.

[3] هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة، الامام الفاضل، المعمر، بقية رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو العباس الخزرجي الأنصاري الساعدي، كان أبوه من الصحابة الذين توفوا في حياته صلى الله عليه وسلم، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة، وكان من أبناء المائة. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج3، ص 422، 423.

[4] الصحابي المعمر أبو أيمن الخولاني المصري، حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بحديث واحد، وعن عمر والزبير، وغزا المغرب زمن عثمان، روى عنه بكر بن سوادة، ويزيد بن أبي حبيب، وغيرهم، شهد حجة الوداع حسبما أورده الذهبي، توفي سنة 91هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج3، ص 452، 453.

[5] الدباغ، المصدر السابق، ص 212.

[6] المالكي، المصدر السابق، ص 112.

[7] الدباغ، المصدر السابق، 202.

[8] المالكي، المصدر السابق، 114.

9 حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 11.

[10] المالكي، المصدر السابق، 115.

وأسلم على يديه عامة البربر، وكان فيهم خير وال وخير أمير[1]، وهو الذي علم أهل إفريقية الحلال و الحرام[2]، وكان حريصا على إسلامهم، كما قام بنشاط دعوي واسع اعتمد فيه على خيرة العلماء[3] توفي سنة 125هـ[4]. ولاشك أنه أسهم كثيرا في نشر الاسلام بفضل جمعه بين وظيفة الولاية والعلم.

طلق بن جعبان الفارسي: عده أبو العرب من العشرة التابعين[5]، روى عنه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم[6]، وقال الدباغ: "كان فقيها عالماً، وهو من العشرة التابعين الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز ليفقهوا أهل القيروان"[7].

وكانت لمجهودات الفقهاء العشرة الأثر البالغ في انتشار العلوم الاسلامية من تفسير وحديث وفقه، ففقهوا الناس في الدين، فتشير المصادر أن هذه البعثة هي التي علمت أهل إفريقية الحلال والحرام، يقول صاحب البيان "وكانت الخمر بإفريقية حلالاً، حتى وصل هؤلاء التابعون- أي الفقهاء العشرة-، فبينوا تحريمها"[8].

كما كان لهؤلاء الفقهاء دور كبير في المجال السياسي، فقد أعانوا حنظلة بن سفيان والي القيروان، والتفوا حوله، لما ثار عليه ميسرة المطغري الخارجي سنة 122هـ/739م بطنجة، فقد كتبوا رسالة توضح قواعد الدين، وطريق النجاة في الدنيا والآخرة، ويمكن

[1] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، 48. السلاوي، المرجع السابق، ج1، ص 46. الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج5، ص213.
[2] البيان، المصدر السابق، ج1، ص 48.
[3] موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1971م، ص 29.
[4] الدباغ، المصدر السابق، ص 203.
[5] أبو العرب، المصدر السابق، ص 20.
[6] المالكي، المصدر السابق، ص 118
[7] الدباغ، المصدر السابق، ص 215.
[8] ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 48.

اعتبار هذه الرسالة، أول وأقدم وثيقة في العقيدة السنية بإفريقية، حيث بينت مرجع ما أنزل الله تعالى في القرآن[1].

وكان مما جاء فيها: "من حنظلة بن صفوان الى جميع أهل طنجة، أما بعد: فإن أهل العلم بالله وبكتابه، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، يعلمون أنه يرجع جميع ما أنزل الله عزَّ وجلَّ الى عشر آيات: آمرة، وزاجرة، ومبشرة، ومنذرة، ومخبرة، ومحكمة، ومتشابهة، وحلال، وحرام، وأمثال"[2].

والى جانب العلماء الذين قدموا الى المغرب، فإننا نجد أن عددا لا بأس به من أهل إفريقية ارتحلوا الى المشرق لأخذ العلوم، والاستزادة منها، قصد العودة الى بلادهم، ونشر العلم بها، وكانت أغلب هذه الرحلات في إطار رغبة المغاربة في أداء مناسك الحج، فالتقى أهل المغرب بعلماء الحجاز والشام ومصر، فأخذوا عنهم أصول الدين والفقه والحديث، ثم عادوا بها الى بلادهم، فدرسوها وعلمها لأبناء جلدتهم.

أبعاد البعثة العمرية وانعكاساتها:

حققت هذه البعثة آثاراً بعيدة المدى، يمكن إجمالها فيما يلي:

- ترسيخ الإسلام كعقيدة وسلوك، بعد أن كان في كثير من الحالات مجرد انتماء اسمي، مما مهد لاندماج البربر الكامل في الأمة الإسلامية.
- تعريب المجتمعات البربرية تدريجياً، من خلال تعليمهم اللغة العربية لفهم القرآن الكريم، وهو ما ساهم في توسيع دائرة الثقافة العربية الإسلامية في المغرب.

[1] عن الوثيقة ينظر: الملحق. مصادر الوثيقة: المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 103.
[2] وردت الرسالة عند: المالكي، المصدر السابق، ج1، 103.

- تكوين نخبة علمية بربرية، ساهمت لاحقاً في نشر الإسلام، ليس فقط في المغرب، بل في الأندلس أيضاً، مما يدل على نجاح هذا المشروع التربوي في بناء جيل مسلم ملتزم.

- تجفيف منابع الردة، إذ ساهم التعليم الديني المنتظم في استقرار الانتماء العقدي لدى البربر، وتقلصت حالات الارتداد التي كانت متكررة في المرحلة السابقة.

- تعميق الفهم الديني، من خلال تنظيم حلقات العلم في المساجد، وتعليم أصول الشريعة ومقاصدها.

- تكوين النخبة العلمية المحلية، حيث تولى الفقهاء الإشراف على الكتاتيب، وتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم الحديث، وبذل فقهاء أهل المدينة جهداً لاحقاً في انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي.

- انتشار الإسلام العميق: أفرزت البعثة في تحويل الإسلام من حالة سطحية إلى إيمان عميق يعيه الناس ويمارسونه على نحو صحيح. تم القضاء على الممارسات المبتدعة وأصبح الإسلام جزءاً لا يتجزأ من حياة المجتمع.

- تأسيس المدرسة الفقهية: من خلال العلماء العشرة، تم تأسيس نواة المدرسة الفقهية المغربية، التي ساهمت في تطوير الفقه الإسلامي في المنطقة.

- التحول الاجتماعي والسياسي: كان لهذه البعثة دور كبير في تشكيل هوية جديدة للمجتمع المغربي، حيث أصبح الإسلام هو الدين السائد، واللغة العربية هي اللغة الرئيسية.

المحاضرة الثانية: انتشار المذهبين الصفري والاباضي ببلاد المغرب (الدعوة، الثورة، الدولة)

1 ظهور الحركات والفرق المذهبية.

الخوارج في المشرق الاسلامي

نشأ تيار الخوارج في ظل الاضطرابات السياسية والعقائدية التي شهدها العالم الإسلامي في منتصف القرن الأول الهجري، خاصة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة 35 هـ، وما تبعه من صراع بين أنصار علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. وبعد معركة صفين سنة 37 هـ وقرار التحكيم بين الطرفين، رفض فريق من المسلمين هذا الحل وعدّوه مخالفًا لشرع الله، رافعين شعارهم المشهور "لا حكم إلا لله"، فكان ذلك بداية ظهور الخوارج كتيار ديني وسياسي مستقل يعارض السلطة القائمة ويكفّر مخالفيه

تميز الخوارج بالتشدد في معتقداتهم وبتفسيرهم الحرفي للنصوص الشرعية، فاعتبروا مرتكب الكبيرة كافرًا مخلّدًا في النار، ورفضوا أي سلطة لا تطبق الشريعة كما يفهمونها. وقد مثّل ظهورهم أول انشقاق فكري وسياسي داخل الأمة الإسلامية، وأسّسوا لنمط من المعارضة المسلحة التي استمرت آثارها عبر التاريخ، خاصة في مناطق العراق، وعُمان، وشمال إفريقيا.

وعلى هذا الأساس جاء تعريف أهل العلم لهم، حيث جاءت تعريفات كثيرة منها ما أورده الشهرستاني والذي جاء تعريفه عاما فقال: "كل من خرج على الإمام الحق، الذي

اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان"[1].

في حين كان ابن حجر دقيقا عن هذه النحلة فقال: "هم الذين أنكروا على عليّ التحكيم، وتبرءوا منه ومن عثمان وذريته، وقاتلوهم، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة"[2]، وقال أبو الحسن الأشعري "أن اسم الخوارج يقع على تلك الطائفة التي خرجت على رابع الخلفاء الراشدين عل بن أبي طالب رضي الله عنه"[3] وهو العلة في تسميتهم بهذا الاسم.

الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي.

بعد استكمال عملية فتح إفريقية، بدأ عهد جديد في بلاد المغرب، هو ما اصطلح عليه عند الباحثين بمرحلة الولاة، غير أن بعض الباحثين يلوح لهم القول بأن عصر الولاة في المغرب هو الذي يبدأ من عام 50 هـ، أي منذ ولاية عقبة بن نافع الأولى، فيصير عددهم ستة وعشرون أميرا بدءاً بعقبة وانتهاءً بمحمد بن مقاتل العكي[4]، أي من 50هـ الى 184هـ[5].

والصحيح الذي ثبتنا عليه أن عصر الولاة لا يبدأ إلا بعد تمام عملية الفتح في المغرب جميعه، بحيث يكون الوالي حاكما مدنيا أكثر منه حاكما عسكريا، ولهذا فحتى

[1] الشهرستاني، الملل والنحل، تقديم صلاح الدين الهواري، دار مكتبة لهلال، بيروت، ط1، 1998م، ج1، ص 129.
ALFRED Bel, La religion musulmane en berbérie, Librarie orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1938, p 140.

[2] ابن حجر العسقلاني، هدى الساري ومقدمة فتح الباري، دار الريان للتراث، القاهرة، ط1، 1986م، ص 473.

[3] الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المكتبة العصرية بيروت، 1990م، ج1، ص 207.

[4] هو محمد بن مقاتل بن حكيم العكي، كان والده من كبار دعوة هارون الرشيد، عين على المغرب 181هـ. وكان غير محمود السيرة، فاضطرب أمره، واختلف عليه جنده، كان سبب موت البهلول بن راشد الفقيه المالكي. الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 123. ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 89.

[5] يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص 57.

مرحلة حسان بن النعمان ومرحلة موسى ابن نصير لا ينطبق عليهما هذا المبدأ، وعليه فإن مرحلة الولاة في بلاد المغرب تكون بعد مرحلة موسى بن نصير[1].

ومصطلح الولاة اسم يدل على وضع سياسي معين شهدته البلاد الاسلامية في الجناح الغربي من الخلافة، منذ أن تم للمسلمين فتحها في نهاية القرن الأول الهجري الموافق للسابع الميلادي[2]

وقد عرف هذا العهد في بلاد المغرب حوادث كثيرة، وبخاصة في المرحلة الأخيرة، حيث كانت الفوضى والاضطرابات والفتن، والتميز العرقي بين العرب والبربر، والقبلي بين القيسيين واليمانيين، وهذه أخطر على المغرب لأنها كانت بين الولاة أنفسهم[3]، وهي أهم الأسباب التي مكنت مختلف الفرق من الولوج الى بلاد المغرب.

إن هذه المرحلة المتأخرة من مرحلة الولاة كانت هي السبب في تغير المنعطف السياسي في بلاد المغرب، فهي نفسها المرحلة التي كان يبحث فيها أصحاب الدعوات المذهبية عن ملاذ آمن، بعيد عن أعين الأمويين لنشر دعوتهم، ما جعلهم يَتَصَيَّدُونَ الفرصة لبث تعاليمهم بين القبائل البربرية، التي كانت حاقدة على الولاة الأمويين، حتى صارت في نظرهم أن الخلافة هي مركز الظلم والجور[4].

[1] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، منشورات مؤسسة الجامعة، الاسكندرية، ط2، 1982م، ص 175. عبد العزيز فيلالي، المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2008م، ص 19.

[2] المرجع نفسه، ص 19.

[3] بن يحي أم كلثوم، قراءة للأوضاع العامة لبلاد المغرب الإسلامي قبيل ظهور الحركات المذهبية، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي (مصادر وتراجم)، جامعة وهران، جانفي جوان 2013م، العدد 20، ص 112. عبد العزيز فيلالي، المظاهر الكبرى، المرجع السابق، ص 21.

[4] بن يحي أم كلثوم، المرجع السابق، ص 112.

ومن المظاهر التي تفشت خلال هذا العهد العصبية التي ميزت بين العرب والبربر، فقد ذكر الرقيق القيرواني أن عمر بن عبد الله المرادي[1] عامل طنجة من قبل عبد الله بن الحبحاب[2] -والي إفريقية- أنه "أساء السيرة، وتعدى في الصدقات والقسم، وأراد أن يخمس البربر، وزعم أنهم فيئ للمسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله"[3]، وهذا النص ليس دليلا على التميز العرقي فقط، بل هو دليل أيضا على الاضطهاد والظلم الذي فرضه الولاة على البربر، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تعدى الى أكثر من ذلك الى سبي المغربيات، وقد ذكر الرقيق القيرواني أن عبد الله بن الحبحاب "أرسل حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع غازيا الى المغرب ... ولم يدع في المغرب قبيلة إلا أداخها فملئوا منه خوفاً ورعباً، وكان فيما أصاب من سبي البربر جاريتان"[4].

إن هذه الحالة من الفساد والانحطاط التي وصلت إليها الادارة الأموية في المغرب، أصبحت واضحة جلية في نظر البربر، الذين حاولوا مدة من الزمن أن يلتمسوا لها الأعذار، لكن لما وصل الأمر بالخلفاء الى التسابق من أجل جمع أكبر عدد ممكن من البربريات عن طريق السبي، أصبح من الصعب عليهم قبول الوضع وتحمله، ففقدوا الثقة بولاة الدولة الأموية، وأصبحوا يشعرون بمساوئ الإدارة وسياستها؛ فانتفضوا على الولاة بمساعدة الفرق المذهبية الوافدة[5]، فظهرت النواة الأولى للمذهب الخارجي، الذي تبنى الثورة ضد الولاة ببلاد المغرب، وهو السبب في تغير خريطتها السياسية والمذهبية بداية من منتصف القرن الثاني.

---

[1] هو عمر بن عبد الله المرادي، عامل عبيد الله بن الحبحاب على إقليم طنجة وما ولاها من المغرب الأقصى، كان صاحب سيرة سيئة مع البربر، قتل سنة 122هـ على يد البربر الثائرة بقيادة ميسرة المطغري. ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 51، 52.

[2] هو عبيد الله بن الحبحاب مولى بني سلول، كان رئيسا نبيلا، وأميرا جليلا، وكاتبا بليغا، وحافظا لأيام العرب وأشعارها، ووقائعها وأخبارها كان واليا على خراج مصر قبل أن يوليه هشام بن عبد الملك على لمغرب والأندلس سنة 116هـ/734م. اليه يرجع الفضل في بناء دار الصناعة بمدينة تونس 116هـ/ 734م. الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 66. ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 51.

[3] المصدر نفسه، ص 67. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 43.

[4] المصدر نفسه، ص 66.

[5] بن يحي أم كلثوم، المرجع السابق، ص 119.

أولا : ظهور الخوارج وتأسيس دولة بني مدرار والدولة الرستمية:

أ) ظهور الخوارج في بلاد المغرب.

لقد عرف المغرب الإسلامي خلال القرن الأول الهجري ثورات وتقلبات متكررة بسبب السياسة المنتهجة من قبل بعض الولاة، والتي أدت إلى التذمر وسخط البربر[1]، وقد وجد دعاة المذاهب المناهضة للأمويين في المغرب بيئة صالحة لبث أراءهم فهيَّأوا البربر للثورات ونبذ طاعة الولاة، كما حركت تلك المساوئ في نفوسهم الرغبة في الانفصال عن مركز الخلافة العاجزة عن رعاية وتطبيق مبادئ الإسلام.

وخلال هذه المرحلة فر الكثير من هؤلاء الدعاة إلى بلاد المغرب، وذلك هروبا من الأمويين واضطهادهم، ولملائمة وتوفر الجو بها، بالإضافة إلى بعدها عن مركز الخلافة، وأهم عامل ساعد على انتشار فكر الخوارج هو تستر الدعاة باسم الإصلاح، وتطبيق مبادئ الإسلام[2]، فلم يذكروا انتمائهم المذهبي، الذي من شأنه أن يعرقل عملية الانتشار، فكانت هذه الأسباب جملة سببا في انتشار الفكر الخارجي، وغرس تعاليمه بين صفوف البربر، ومن بين فرق الخوارج التي التجأت إلى المغرب لبث مذهبها الإباضية والصفرية[3].

وقد نجح هؤلاء الدعاة في تفجير الوضع في بلاد المغرب، في صورة ثورات متتالية عمت أرجاء المغرب وأنحائه بداية من سنة 121هـ/739م، في عهد عبيد الله بن الحبحاب[4]، وكانت أولى هذه الثورات ثورة ميسرة المطغري[5]، وهي أول ثورة لإفريقية في الإسلام[6]،

---

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 24.

[2] ابراهيم العدوي، بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي، مكتبة الأنجلو، مصر، 1970، ص 167.

[3] محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1987م، ص 55.

[4] كان رئيسا نبيلا، وأميرا جليلا، كما أنه كان كاتبا بلبغا، حافظا لأيام العرب وأشعارها، كان واليا على خراج مصر، ثم ولاه هشام بن عبد الملك على إفريقية، وكان ذلك في ربيع الأول من سنة 116 هـ/ 734م. عن الترجمة ينظر: الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 66.

5 ستأتي ترجمته.

[6] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 56.

وعن هذه الثورة يطلعنا الطبري عن دور دعاة الخوارج في دفع البربر إلى الخروج عن والي طنجة، يقول الطبري: "فمازالوا من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك، أحسن أمة سلاما وطاعة، حتى دب إليهم دعاة أهل العراق، فلما دب إليهم دعاة أهل العراق واستثاروهم، شقوا عصاهم وفرقوا بينهم إلى اليوم"[1]، وأما عن البلابل التي أثارها الخوارج ففي قولهم "إنما يعمل هؤلاء بأمر أولائك"[2]، يقصدون بذلك الولاة والخلفاء الأمويون، وبين النص رأي الخوارج في السياسة المنتهجة من قبل الولاة، إنما هو معبر عن فساد سياسة الخلفاء الأمويون، وهو تلبيس على أهل المغرب، لاستدراجهم على خلع طاعة الأمويين، وإذا ما تتبعنا النص فإننا نجد حرص أهل المغرب على إبقاء الولاء للأمويين، فلم يعلنوا التمرد إلا بعد فشل الوفد الذي توجه الى المشرق في ملاقاة الخليفة.

وقد ضم هذا الوفد ميسرة المطغري وبعض الرجال، ذهبوا الى المشرق لملاقاة الخليفة هشام بن عبد الملك، فصعب عليهم ذلك، فأتوا حاجب الأمير الأبرش وعرضوا عليه ما يعانونه مع أميرهم، وكتبوا في رقعة أسماءهم ورفعوها الى وزرائه، ثم انطلقوا راجعين الى بلادهم[3].

عندما عاد الوفد الى المغرب استغلوا فرصة سير الجيش بقيادة حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع إلى صقلية سنة 121هـ/ 739م، فخرجوا على عامل الخليفة بطنجة فقتلوه[4]، وكان قائدهم ميسرة المطغري، الذي استطاع أن يجمع عددا من المناصرين؛ فبويع

[1] الطبري، المصدر السابق، ج4، ص 254. ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 293.
[2] الطبري، المصدر السابق، ص 254.
[3] الطبري، المصدر السابق، ص 254. محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 66. بوداود عبيد، ثورات الحركة الخارجية الصفرية في المغرب الإسلامي (120-132هـ) وتداعياتها، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة معسكر، عدد خاص، أفريل 2008م، ص 305. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 52.
[4] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 293. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 52.

بالخلافة[1]، وخوطب بأمير المؤمنين، وكثر جمعه من البربر، وقوي أمره بنواحي طنجة[2]، وفشت مقالته في سائر القبائل بإفريقية[3].

هكذا مكنت الخارجية البربر من اعطاء شكل ديني لمطالبهم السياسية والاقتصادية، وقد اعتنقوها لأنهم وجدوا فيها الأساس الذي يمكنهم من التمرد على النظام السياسي القائم، فالخوارج كانوا يكافحون ضد نظام الحكم القائم أكثر مما كانوا يكافحون من أجل انشاء نظام جديد[4].

وانضم الى ميسرة في هذه الثورة بربر مكناسة وبرغواطة، بزعامة صالح بن طريف[5]، كما انضم إليه الأفارقة في طنجة، وانضمت إليه أيضا أقوى قبائل المغرب الأوسط وهي زناتة[6].

لما بلغ عبد الله بن الحبحاب مقتل عامله وولده، بعث الى حبيب بن عبيدة بالرجوع عن صقلية، وأرسل خالد بن حبيب[7] ومن معه من العساكر، ولقيه ميسرة والبربر بناحية

[1] مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في الحديث والقديم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت، ج2، ص 57.

[2] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص 416.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في ذكر العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج6، ج4، ص 241.

[4] محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 67.

[5] كان مصمودي الأصل، نشأ بالقرب من الأندلس، ورحل الى المشرق، عمل بالسحر، ثم قدم الى بلاد المغرب، فتمكن من استمالة عدد من أهلها، تسمى بصالح المؤمنين، وزعم أنه المشار إليه في القرآن، وقد شرع لهم ديانة قرر ضلالها في سنة 125هـ/ 742م، منها: صوم رجل وأكل رمضان، وصلاة خمسة أوقات بالليل، وأباح لهم تزوج أكثر من أربعة نساء، وحرم ذبح الديك، ومن قتل ديكا أعتق رقبة، وغيرها من الشرائع. لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب إعمال الأعلام، تحقيق أحمد مختار العبادي، محمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ص 182، 183. وهو القسم الثالث من كتاب إعلام الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام.

[6] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 304. محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 57. بوداود عبيد، المرجع السابق، ص 307.

[7] لم نجد في المصادر التاريخية أي ترجمة له، الا ما يفيد تعين ابن الحبحاب له كقائد لجيشه في المعركة التي جرت مع الصفرية، والتي سميت بموقعة الأشراف، فنهزم فيها. الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 67. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 241، 242.

طنجّة، فاقتتلا قتالاً شديداً[1]. لم يسمع بمثله، وعاد ميسرة الى طنجة فأنكرت البربر سيرته، وكانوا بايعوه بالخلافة، فقتلوه وولوا خالد بن حميد الزناتي[2].

تشير المصادر التاريخية الى أن البربر كرهوا من ميسرة سوء سيرته، وهو الأمر الذي جعلهم ينقلبون عليه ويقتلونه، ولعل أهمها: هو خروجه عن التعاليم التي اختير قائدا لأجلها، وتَغَيُّرهُ عما بايعوه عليه، كما ورد ذلك عند صاحب البيان المغرب[3]، ولأن الخوارج الصفرية في بلاد المغرب لا تخالف الأئمة بما تجني العمال، كما أوخذ عليه قتل الصبيان[4] وهو ما يتنافى وعقائد الصفرية، الذين لا يرون بقتل أطفال مخالفيهم[5].

بعد أن ولي خالد بن حميد الزناتي على الصفرية، التقى بجيشه مع خالد بن حبيب حول وادي الشلف سنة 122هـ/740م، فأنزل بالعرب هزيمة فادحة، فكره خالد بن حبيب أن يهرب، فألقى بنفسه هو وأصحابه إلى الموت أنفة من الفرار، حتى لم يبقى منهم رجلاً واحداً[6]، وقد راح فيها كما تشير المصادر "حماة العرب وفرسانها وكُماتها وأبطالها، فسميت الغزوة غزوة الأشراف"[7].

[1] المصدر نفسه، ص 241. بوداود عبيد، المرجع السابق، ص 309.

[2] خالد بن حميد الزناتي هو من تولى أمر الصفرية بعد قتل ميسرة المطغري، قاد الصفرية في معركة الأشراف122هـ/ 740م، فانتصر على جند الخلافة، ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 416. جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1991م، ص 56.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 52.

[4] مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1989م ص 28، 29.

[5] عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د.ت، ص 48. الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص 54. الأشعري، المصدر السابق، ج1، ص 169. الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، 137. محمد إبراهيم الفيومي، الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998. ص 161.

[6] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 67، 68. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 54.

[7] ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 417. الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 67، 68. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 54. السيد عبد العزيز سالم، المصدر السابق، ص 220. بوداود عبيد، المرجع السابق، ص 309.

وقد "تمخضت معركة الأشراف عن عدة نتائج في مقدمتها: ضعف الروح المعنوية عند العرب، وقوتها عند رجال النحلة الصفرية، التي انتشرت بين بربر المغرب الأقصى اثر ذلك انتشارا سريعا، فشقوا عصا الطاعة في وجه عامل إفريقية بالقيروان"[1].

بعد هذا الوضع المتأزم، وانفلات الأمن في المغرب، جهز الخليفة جيشا كبيرا يعيد به المغرب الى الولاء والطاعة، ويثأر به للهزيمة التي لحقت بجيشه في غزوة الأشراف، وكان مما قاله في هذا الشأن: "والله لأغضبن لهم غضبة عربية ولأبعثنَّ لهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندي، ثم لا تركت حصن بربري إلا جعلت الى جانبه خيمة قيسيٍّ أو تَميمي"[2].

وقد بعث جيشاً بقيادة كلثوم بن عياض القشيري[3] سنة 123هـ/ 741م، وانظم الى هذا الجيش عدد كبير من جند مصر وبرقة وطرابلس، حتى بلغ عدده سبعين ألف رجل[4]، وبالرغم من ذلك كله فقد كانت بوادر الضعف بادية في جيش كلثوم تنذر بالفشل والهزيمة، فقد افتقر الجيش إلى النظام، والألفة بين عناصره من قيسية ويمانية، ومتطوعة من البرابرة، كما أن قيادته كانت للقيسية، لرجل منهم طاعن في السن قليل الهيبة[5].

وقد انتشرت العصبية في الجيش العربي وتصدع قبل مواجهة الجيش الخارجي، واشتد الصراع، خاصة عندما لم يحسن كلثوم معاملة قائد الجيش الافريقي حبيب بن أبي عبيدة، وهو شيخ اليمنية بالمغرب،[6]،

[1] موسى لقبال، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م ، ص 159.
[2] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 68. ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 417.
[3] كلثوم بن عياض القشيري أحد قواد الدولة الأموية، أرسله الخليفة هشام بن عبد الملك الى المغرب على رأس جيش كبير من العرب، للانتقام من الصفرية، التي أوقعت بجيوشه في موقعة الأشراف بالقرب من طنجة 123هـ/741م، ولكن كلثوم منى هو الآخر بهزيمة مماثلة، وانتهى الأمر باستشهاده وأصحابه في موقعة بقدورة بالقرب من تاهرت في أواخر 123هـ/ 741م. الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 65.
[4] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 67.
[5] محمد اسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط2، 1985م، ص 67.
[6] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 295.

التقى الجيشان عند وادي سبو (بقدورة)[1]، فبرز الصفرية بحماسهم، وردوا خيل العرب حتى لاذت بالفرار، وهكذا شل الصفرية تفوق العرب بما لديهم من خيل، وأحبطوا آمالهم في إحراز النصر[2]، وهلك كلثوم وحبيب ومن معهما، وسار الناس إلى افريقية، وكان هذا في أواخر سنة 123هـ/741م[3]. وكانت نتيجة المعركة سيئة الوقع على المسلمين في المشرق والمغرب، وقد شجعت جمهور المتمردين في افريقية على انتحال الصفرية، وتأيد الثورة، واحتلال قاعدة القيروان[4].

ورغم الهزيمة التي مني بها جيش الخلافة، فقد تابعت الخلافة الأموية جهودها لوضع حد لثورة البربر الصفرية، فأرسلت حنظلة بن صفوان[5] والي مصر لمباشرة هذه المهمة سنة 224هـ/ 742م[6]، وكان قد ظهر في هذه الآونة زعيمان من البربر هما: عبد الواحد بن يزيد، وعكاشة بن أيوب الصفري[7]، اللذان أجمعا على قتال أمير المغرب الجديد حنظلة بن صفوان.

ونشير هنا إلى احتلال قبيلتي هوارة ونفزاوة الصدارة، بعد أن كانت لقبيلة زناتة وزعيمها خالد بن حبيب الزناتي، بعد أن انتزعتها هي الأخرى من قبيلة مطغرة، قبيلة قائد الثورة الخارجية ميسرة، وهذه المرحلة تعد مرحلة نضج بالنسبة للدعوة الخارجية الصفرية،

[1] وقعت بالقرب من تاهرت أواخر سنة 123هـ/741م، بين الجيش العربي بقيادة كلثوم بن عياض القشيري، والجيش الخارجي بقيادة خالد بن حميد الزناتي، وقد انتصر في هذه المعركة الجيش الخارجي. ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 296. الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 65.

[2] محمد إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 68,

[3] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 296.

[4] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 160.

[5] كان واليا على مصر، في الوقت الذي كانت الخلافة تتلقى الهزائم أمام البربر، أمره الخليفة هشام، بالتوجه الى المغرب بعد موقعة بقدورة، فدخل القيروان سنة 124هـ/742م، استطاع الانتصار على الجيش الخارجي في موقعتي القرن والأصنام سنة 125هـ/743م، واستمر بعدها على ولاية افريقية مدة سنتين، أعاد فيها الأمن والاستقرار الى القيروان، حتى أخرجه منها عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع سنة 127هـ/745م. الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 67.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 145.

[7] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 60.

التي سطرت أهداف أخرى منها: السيطرة على القيروان، وعلى ولاية افريقية، وقد حصل الاتفاق بين عكاشة وعبد الواحد على هذا المطلب، فقررا أن يسلك كل واحد منهما طريقا[1].

فسار إليها عكاشة من طريق مجانة[2]، بينما توجه إليها عبد الواحد عن طريق جبل باجة[3]، وتوقف عبد الواحد على بعد مرحلة من القيروان عند موضع يعرف بالأصنام[4]، بينما عسكر عكاشة على بعد ستة أميال عند موضع يعرف بالقرن[5]، فلما رأى حنظلة ما غشيه من جموع البربر، حفر خندقا على مدينة القيروان، ورأى أن يعجل بحرب عكاشة لكونه الأكثر خطرا على القيروان، فهو أقرب منها من عبد الواحد، وخوفا من أن يجتمع عليه الجيشان، فخرج بمن معه من أهل القيروان إلى قتال عكاشة فالتقوا بالقرن، وقد دار بينهما قتال شديد، هزم فيه عكاشة ومن معه، وقتل من البربر خلق كثير، ثم توجه الى عبد الواحد فالتقيا بالأصنام سنة 125هـ/743م، فهُزم عبد الواحد وقتل[6].

والواقعة أسفرت عن عدد الكبير من القتلى الذين كانوا مع الجيش الصفري، وقد تم إحصائهم عن طريق القصب بوضع قصبة عند كل قتيل كما يقول صاحب البيان: "وقيل أنه ما علم في الأرض مقتلة كانت أعظم منها، أراد حنظلة أن يحصي من قتل، فما قدر على

[1] موسى لقبال، المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 161.

[2] تعرف بمجانة المطاحن، بها معادن لقطع حجارة الأرحاء ليس على لأرض مثلها وهي مدينة ذات صور من طابية، وهي كثيرة الزعفران والزرع، وبها معادن حديد وفضة، لها واد غزير الماء يزرع عليه سكانها، ولها أيضا أسواق حسنة. ابن حوقل، المصدر السابق، ص 84. مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق سعد زغلول عبد المجيد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1985م، ص 126.

[3] هي مدينة عتيقة بناها الرومان على بعد خمسة وعشرين ميلا عن البحر المتوسط، وثمانين ميلا أو أكثر بقليل من تونس، بينها وبين مدينة طبرقة بحيرة عظيمة في دورها نحو أربعين ميلا تصب في البحر، ومدينة باجة على جبل شديد البياض، وهي كثيرة الأنهار والعيون، ورخيصة الأسعار، فإذا أخصبت لم تكن للحنطة بها قيمة. مجهول، الاستبصار المصدر السابق، ص161. الحسن الوزان، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م، ج2، ص 66.

[4] جورج مارسيه، المرجع السابق، ص 55.

[5] هو موضع في ظهر القيروان. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج1، ص 58.

[6] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 58، 59. ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 299.

ذلك، فأمر بقصب، فطُرح قصبة على كل قتيل، ثم جمعت القصب وعدت، فكانت القتلى مائة ألف وثمانين ألفا"[1].

رغم هزيمة الصفرية في موقعتي القرن والأصنام إلاّ أن نشاط الخوارج بقي قائما، وبخاصة مع تداعي الخلافة الأموية بالضعف، على إثر وفاة الخليفة هشام بن عبد الملك 125هـ/ 743م، ولعل من أبرز الأحداث دلالة على ضعف هيبة الخلافة بالمغرب تغلب عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة[2] على إفريقية سنة 127هـ / 745م، وإرغام حنظلة بن صفوان على مغادرتها[3]، واستطاع عبد الرحمن بن حبيب أن يظل واليا على بلاد المغرب، برغم من سقوط الدولة الأموية سنة 132هـ/749م وقيام الدولة العباسية، إذ اضطرت الخلافة العباسية إلى الاعتراف بهذا الوالي، جريا على عادة إمارة الاستيلاء[4] لأنها كانت في المراحل الأولى، وذلك لدعم كيانها في المغرب[5]، وقد شهد عصر عبد الرحمن كما تشير المصادر التاريخية قيام عدة ثورات منها: ثورة عروة بن الوليد الصدفي[6] بتونس، وثابت الصنهاجي ببجاية، وعبد الجبار بن الحرث بطرابلس[7]، الذي كان على رأي الاباضية[1].

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ص 59. ينظر أيضا: ابن عبد الحكم، المصدر السابق، 299. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، 145. الذي ذكر أن عدد القتلى كان مائة وثمانين ألفا.

[2] والي إفريقية من عام 127 هـ/ 745م حتى وفاته عام 137 هـ/ 754م. جده عقبة بن نافع مُؤسس القيروان، سار الى الأندلس لما قتل أبوه حبيب على اثر الهزيمة التي مني بها كلثوم بن عياض في موقعة "قديورة"، فتطلع الى الرياسة، لكنه لم يفلح أمام قوة والي الأندلس ابي الخطار حسام بن ضرار الكلبي، فخاف على نفسه فخرج مستترا، فركب البحر الى تونس، فنزل بها وذلك في جمادى الأولى سنة 127هـ/745م فدعا الناس الى نفسه؛ فأجابوه. ابن عذاري، المصدر السابق، ص 60. مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1989م، ص 43، 53.

[3] محمد اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 73.

[4] أن يستولى الأمير بالقوة على بلاد فيقلده الخليفة أمارتها، ويفوض إليه تدبيرها وسياستها فيكون الأمير باستيلائه مستبدًا بالسياسة والتدبير، والخليفة بإذنه منفذًا لأحكام الدين. الماوردي، الأحكام السلطانية، تحقيق خالد الجميلي، دار الحرية، بغداد، 1989م، ص55 .

[5] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 62، 63.

[6] ذكر عند ابن خلدون بالصغري وليس الصدفي. ابن خلدون، المصدر السابق، ص 243.

[7] هو رجل من أهل الولاية عند الاباضية، تزعم الحركة الاباضية مع الحارث بن تليد الحضرمي، فثارا على والي عبد الرحمن بن حبيب، وسيطروا على طرابلس والمنطقة التي بينها وبين قابس، مما اضطر عبد الرحمن للخروج بنفسه

ورغم أن المصادر التاريخية لم تُشر الى تاريخ هذه الثورات، فمن المرجح أن تاريخها كان بعد ولاية عبد الرحمن على إفريقية أي بعد سنة 127هـ/745م بدليل نص ابن عذاري الذي يقول: "ولما ولي عبد الرحمن، ثار عليه جماعة من العرب والبربر، "[2]، ونص ابن خلدون الذي يقول فيه: "ثم ثارت عليه الخوارج في كل جهة فكان عطاب بن الأزدي، وعروة بن الوليد الصغري بتونس، وثابت الصنهاجي ببجاية وعبد الجبار بن الحرث بطرابلس على رأي الإباضية"[3] غير أن عبد الرحمن استطاع القضاء على هذه الثورات بعد جهود مضنية.

ويظهر أن مجموعة من البربر الصفرية التجأت إلى الصحراء، وعملت على نشر مذهب الصفرية بين البتر في منطقة نفزاوة[4]، وهي قبيلة ورفجومة[5] -احدى بطون قبيلة نفزة- والتي تمكنت تحت قيادة عاصم بن جميل من السيطرة على القيروان فترة، وطرد واليها حبيب بن عبد الرحمن الفهري الذي تحصن بجبل أوراس[6].

وقد قامت هذه قبيلة بعد سيطرتها على القيروان بأعمال شنيعة من نهب وسلب وانتهاك للحرمات، يقول صاحب نهاية الأرب: "ولما حكمت ورفجومة على القيروان، قتلوا من بها من قريش، وساموهم سوء العذاب، وربطوا دوابهم في المسجد الجامع، وندم الذين

لمحاربتهما، وتذكر المصادر الاباضية أنه وجد هو والحارث بن تليد الحضرمي مقتولين وبجانب كل واحد منهما سيف، فسميت هذه الحادثة بمسألة الحارث وعبد الجبار، وقد اثير حولها كلام كثير من قبل الاباضية في ذلك الوقت في المشرق والمغرب. ينظر: أبو العباس الدَّرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974م، ص 24.

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ص 60، 61. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 243.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ص 60، 61.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 243.

[4] يرجعهم الى البربر البتر، وهم بنو تطوفت بن نفزاو بن لوا الأكبر بن زحيك، وذكرها الحميري في الروض بأنها مدينة بينها وبين القيروان ستة أيام، بها جامع وحمام وأسواق حافلة، وهي على نهر كثير النخل والثمار. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 150. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص 478.

[5] وهم أوسم بطون نفزاوة، وأشدهم بأسا وقوة، زحفوا الى القيروان سنة أربعين ومائة، فقتلوا من كان بها من قريش وسائر العرب، وربطوا دوابهم بالمسجد، وعظمت حوادثهم. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 150.

[6] ابن عذاري، المصدر السابق، ص 70. موسى لقبال، المرجع السابق، ص 163.

أعانوهم أشد ندامة"[1]، وساروا في أهل القيروان بالعسف والظلم، وافترق أهل القيروان بالنواحي فرارا بأنفسهم، وشاع خبرهم في الأقطار[2]. ما دفع بامرأة قيروانية الى كتابة رسالة إلى أبي الخطاب المعافري[3]، تشكو إليه ظلم قبيلة وفرجومة وخوفها على عرضها ، وابنتها التي أخفتها في حفرة تحت سريرها[4]، وتشير مصادر أخرى الى أن رجلا من الاباضية دخل القيروان فوجد أناسا من ورفجومة قد أخذوا امرأة وراودوها عن نفسها والناس ينظرون وهي تصيح "أغيثوني معاشر المسلمين"[5] فترك حاجته التي أتى لأجلها وخرج الى أبي الخطاب فأعلمه بالذي رآه[6]، فخرج أبو الخطاب وهو يقول" لبيك اللهم لبيك"[7].

وأبو الخطاب هذا هو من الإباضية، استطاع الاستيلاء على طرابلس، وطرد عاملها عمر بن عثمان القرشي سنة 140هـ/ 758م واتخذها مقرا له، وما إن انتهى من تنظيم شؤونها، حتى أتته الفضائح التي ترتكبها ورفجومة في القيروان[8].

فمضى ومن معه من الجند الى واد وراء فحص رقادة[9]، ثم سار بجنوده نحو القيروان واحتل قابس التي كان الصفرية قد استولوا عليها، ثم واصل زحفه على القيروان،

[1] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج22، مخطوط بالمكتبة الأزهرية، عدد الأوراق 183. تحت رقم: 64، الورقة 74. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 70. الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 81.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 244.

[3] ستأتي ترجمة له عند ذكر علماء الاباضية.

[4] وقد ذكر أبو زكريا نص الرسالة التي أرسلتها المرأة المذكورة فقالت: "أما بعد فإن لي بنة وقد بلغت في الخوف عليها من ورفجومة والحوطة عليها أن حفرت حفرة تحت سريري، وصنتها فيها عنهم خشية أن يفسدوها كما فعلوا بأمثالها فالنظر إلينا والسلام" ينظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 26، 27. أبو زكريا يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979م، ص 38.

[5] ابو زكرياء، المصدر السابق، ص 39.

[6] النويري، المصدر السابق، الورقة 75.

[7] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، 81.

[8] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 68.

[9] هي مدينة بناها إبراهيم بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الأغلب سنة 184هـ/800م، قال البكري: "وصارت دار بني الأغلب وهي بقبلة مدينة القيروان وعلى ثلاثة أميال منها، بها جامع به صومعة مستديرة، مبنية بالآجر والعمد، سبع طبقات لم يبنى أحكم منها، ولا أحسن منظرا" ينظر: البكري، المصدر السابق، ص 28.

وتمكن من هزيمة الصفرية ودخل القيروان عام 141 هـ/758م وضرب أبو الخطاب المثل الأعلى في حروبه، إذ لم يحدث ما اعتاد أهل القيروان مشاهدته بعد نهاية الحروب، فلم تمتد يد جنوده الى جثث أعدائهم، والتزموا بحدود الانتصار، فلم يسلبوا ميتا ولم يتعرضوا لسكان القيروان وأموالهم، وكان لذلك السلوك وقع حميد في نفوس سكان المنطقة، وقام أبو الخطاب بجعل عبد الرحمن بن رستم على إدارة القيروان ورجع هو إلى طرابلس[1].

إن المجهودات التي قام بها أبو الخطاب في تحرير مدينة القيروان من ظلم قبيلة ورفجومة، قد جعلت المذهب الإباضي ينتشر بسرعة في بلاد المغرب، وبخاصة في القيروان، حيث انتقل من مرحلة التنظير الى مرحلة التطبيق والتنفيذ، وهي محاولة ايجاد كيان سياسي، وتجسد خاصة في تعين شخصية إباضية على القيروان، هي الأقدر على حمل الرسالة، ونشر الدعوة كونها من حملة العلم، وتمثلت هذه الشخصية في عبد الرحمن بن رستم، الذي سيكون فيما بعد إماما للدولة الرستمية في المغرب الأوسط، وقد استفاد الاباضية من إنقاذ القيروان وفرض الحماية المؤقتة عليها، أيما استفادة من الناحيتين المادية والمعنوية، فقد ارتاح الناس في افريقية كلها، وأسلموا القيادة لأبي الخطاب[2].

بعد هذه الأحداث وبلوغ أخبار المغرب الى الخلافة في المشرق، أمر أبو جعفر المنصور محمد بن الأشعث[3] والي مصر بالسير الى إفريقية، والذي وجه أبا الأحوص العجلي[4] في سنة 142هـ/759م، فخرج إليه أبو الخطاب، فالتقوا بغدامس على شاطئ البحر، فانهزم أبو الأحوص وأصحابه، واحتوى أبو الخطاب على عسكرهم، ورجع أبو

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ص 71. الدرجيني، المصدر السابق، ص 29. السلاوي، المرجع السابق، ج1، ص 55.
[2] موسى لقبال، المغرب الاسلامي، المرجع السابق، 169.
[3] محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي، كان أحد كبار القواد في خلافة أبي جعفر المنصور، وقد وجهه الخليفة الى المغرب عقب هزيمة جيش أبي الأحوص العجلي في بداية ثورة أبي الخطاب، وقد دخل القيروان سنة 146هـ/763م، واستقر له الأمر في إفريقية حتى ثار عليه عيسى بن عجلان على رأس جماعة من القواد الجيش، وأخرجوه في سنة 148هـ/765م . ينظر: أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 45.
[4] لم نعثر على ترجمة له.

الأحوص الى مصر، وانصرف أبو الخطاب الى طرابلس، وكانت إفريقية كلها في يديه الى أن وَجَّهَ المنصور بن الأشعث[1].

ويذكر ابن عذاري أن ابن الأشعث كان يخشى مواجهة أبي الخطاب، وذلك لكثرة جيوشه، ولم يبادره بالحرب الى أن سمع بالصراع الذي قام بين زناتة وهوارة ممن كانوا في جيشه، فخرجت زناتة عليه وغادرت الجيش فرقة منهم، وقد سر ابن الأشعث بهذا الخبر، مما جعله يعجل في لقاء أبي الخطاب، يقول ابن عذاري: "فضاق ذرعُ ابن الأشعث بلقاء أبي الخطاب لما بلغه كثرة جيوشه، ثم إن زناتة وهوارة تنازعت فيما بينها، واتهمت أبا الخطاب في ميله مع هوارة، ففارقه جماعة منهم[2].

ونستشف من خلال النص بوادر الضعف التي حلت بجيش أبي الخطاب، حين تسربت العصبية القبلية بين عناصره، ولا شك أن زناتة تمثل قوة كبيرة بالنسبة للجيش الاباضي، الذي كان من الممكن أن يبقى مسيطرا على إفريقية عامة، وعلى القيروان خاصة.

ومن خلال ما أورده الدرجيني فإننا لا نجد أي ذكر لهذه الصراعات، وما شكلته من خطر على مصير الجيش قبل لقاء ابن الأشعث، بل نجد تبريرا آخر لتفرق الجيش وهو أن ابن الأشعث استعمل حيلة حربية لتفريقه، فتظاهر بأنه عائد الى مصر، بأمر من الخليفة، وهو ما فرق جموع البربر الى أوطانهم وزروعهم وكان الوقت وقت حصاد[3].

داهمت قوات ابن الأشعث جيش أبي الخطاب وهو على غفلة، وقد بدأت المعركة بين الفريقين بموضع يقال له تورغا[4]، بالقرب من مدينة طرابلس على مسيرة أربعة أيام[1]،

[1] ابن الأثير، الكامل المصدر السابق، ج5، ص 186. ابن عذاري، المصدر السابق، ص 71. البكري، المصدر السابق، ص 07.

[2] ابن عذارى، المصر السابق، ص 72.

[3] عن الحيلة التي أوردتها المصادر الاباضية ينظر: ابو زكرياء، المصدر السابق، ص 44. الدرجيني، المصدر السابق، ص 33.

[4] موضع بالقرب من طرابلس على مسيرة أربعة أيام. ينظر ابو زكريا، المصدر السابق، ص 46.

أما الدرجيني فيذكر أنها على مسيرة ثمانية أيام[2]، فاقتتلوا قتالا شديدا، وانهزم البربر، وقتل أصحاب أبي الخطاب[3]، ولم يفلت من عسكره إلا اليسير، فتسامعت رعيته بمقتله فهربوا إلى الجبال، ولجئوا إلى الحصون المنيعة والقلاع العالية[4]، وكان ذلك سنة 144هـ/ 761م. وبلغ الخبر الى عبد الرحمن بن رستم، ففر عنها الى تاهرت[5].

وتأكد لعبد الرحمن بن رستم أن نجاح الإباضية في منطقة يسود فيها المذهب السني، وتقاتل عنها جيوش الخلافة العباسية بضراوة شديدة، أمر غير مكفول النتائج، ولذلك أصبحت منطقة تاهرت في المغرب الأوسط هي المكان الذي تضمن ظروفه الطبيعية والسياسية إقامة دولة إباضية[6].

بعد هذه الهزيمة الشديدة الوقع على الاباضية، تداعت القبائل البربرية المنتحلة لمذهبهم بالكتمان، والتنظيم السري من جديد[7]، لذلك فقد استحال نشاطهم في إفريقية، وبخاصة بعد قيام حكم آل المهلب[8] في القيروان، الذين طاردوا الخوارج؛ عندئذ عزف الخوارج عن مناطق النفوذ العربي نهائيا، واتجهوا الى مناطق نائية وصحراوية بالمغربين الأوسط والأقصى، حيث عول الخوارج الصفرية على إقامة دولة في جنوبي المغرب الأقصى، وجعلوا سجلماسة عاصمة لها، بينما أقام الإباضية دولتهم في المغرب الأوسط وجعلوا تاهرت عاصمة لهم.

---

[1] المصدر نفسه، ص 46.

[2] الدرجيني، المصدر السابق، ص 34

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، ص 72.

[4] أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 46.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 245. البكري، المصدر السابق، ص 68.

[6] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 72.

[7] هو أبو حاتم يعقوب بن لبيب الملزوري بن حبيب الكندي بالولاء، ولي طرابلس في رجب سنة خمس وأربعين ومائة (145هـ/ 762م)، هزم جيوش عمر بن حفص أمير إفريقية عند طرابلس، توفي 155هـ/771م ينظر: أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 48، 49.

[8] نسبهم الى في نسبهم الى المهلب بن أبي صفرة الأزدي (82هـ/701م) وكنيته أبو سعيد، وقدت بدأت ولاية هاته الأسرة في إفريقية بيزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، ثم داوود بن يزيد، ثم روح بن حاتم المهلبي، ثم أتى من بعده نصر بن حبيب المهلبي، ثم أتى بعده الفضل بن روح بن حاتم، على الترتيب الذي ذكره الرقيق القيرواني. الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 85، 97، 98، 104، 105. ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 77.

ب) الصفرية وتأسيس دولة بني مدرار:

الصفرية:

الصفرية هم أتباع زياد بن الأصفر[1]، وقولهم في الجملة كقول الأزارقة، في أن أصحاب الذنوب مشركون، غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم، والأزارقة يرون ذلك[2]، ولم يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين لهم في الدين والاعتقاد، ولم يسقطوا الرجم، وقالوا بأن التقية[3] جائزة في القول دون العمل، وقالوا: "ما كان من الأعمال عليه حد واقع فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزم به الحد، كالزنا والسرقة والقذف، فيسمى زانيا، سارقا، قاذفا، لا كافرا مشركا"[4].

وقد انتشرت وتطورت هذه الآراء في المشرق، لكنها سرعان ما انتقلت في المغرب، بفضل دعاتها المهرة، ومن أبرز هؤلاء عكرمة مولى ابن العباس، وميسرة المطغري، وعبد الأعلى بن جريح، وأصبح لها أنصار ومؤيدون من مسلمي البربر، ومن غير البربر من الموالي، الذين حرصوا على تنفيذها لا بالإقناع فقط وإنما التجأوا في آخر الأمر الى الثورة والعصيان ضد ولاة بني أمية في منطقة طنجة والمغرب الأقصى[5].

---

[1] زياد بن الأصفر رأس الصفرية، كان مذهبه مذهب الأزارقة في تكفير الصحابة، خالفهم في تكفير القعدة عن القتال، ولم يحكم بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار، وقال التقية جائزة في القول دون العمل. الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الأرناؤوط و تزكي مصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م، ج15، ص 05. الشهرستاني، المصدر السابق، ص 153. البغدادي، المصدر السابق، ص 84.

[2] البغدادي، المصدر السابق، ص 84.

[3] التقية هي الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير، والتقية عند الصفرية جائزة في القول دون العمل، وهم بهذا يتوسطون قول الأزارقة والنجدات من الخوارج. أبو العباس محمد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، مطبعة الاستقامة، القاهرة، دت، ج2، ص 177. الشهرستاني، المصدر السابق، ص 153. غالب بن علي عورجي، الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الاسلام منها، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العقيدة الاسلامية، كلية الشريعة، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 1979م، ص 412.

[4] الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص 153.

[5] موسى لقبال، المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص 158.

إن التطور الجديد في فكر الصفرية، والاتجاه العملي في حركتهم بالمشرق، يؤكد جنوحهم الى مبدأ الدعوة السرية المنظمة في المغرب[1]، وتاريخ الصفرية لا يخلوا من إشارات تؤكد جهود دعاتهم في نشر مذهبهم، ومن هؤلاء الدعاة نذكر:

عكرمة مولى ابن العباس: تذكر المصادر الاباضية حين حديثها عن داعية المذهب في المغرب سلمة بن سعد أنه قدم برفقة داعية صفري؛ يقول أفلح بن عبد الوهاب عن أبيه عن عبد الرحمن بن رستم أنه قال: "أول من جاء بهذه الصفة يريد مذهب الاباضية ونحن بقيروان إفريقية سلمة بن سعد، قدم علينا من أرض البصرة هو وعكرمة مولى ابن عباس وهما راكبان على جمل واحد حاملان عليه زادهما، سلمة بن سعد يدعو الى الاباضية وعكرمة مولى ابن عباس يدعو الى الصفرية"[2].

وعكرمة هو من أصل مغربي، وكان من موالي ابن عباس الفقيه، وقد أتاح له ذلك مخالطة كثير من الفقهاء والمحدثين، كأبي هريرة، وأم المؤمنين عائشة، فسمع منهم حتى أضحى من الأعلام في الفقه والحديث، ثم أخذ بالمذهب الصفري، وصار من فحول فقهائه، وقد يفهم مما ذُكر عنه أنه أخذ بهذا المذهب في وقت متأخر، وبعد أن اتجه الخوارج إلى أسلوب التنظيم والدعوة السرية، اتجه هو إلى بلاد المغرب لبث تعاليم مذهبهم[3]، ذكر محمد بن يزيد المبرد مخالطته بالعلماء وكبار العلماء قال: "حدث أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي النسابة عن أسامة بن زيد عن عكرمة قال: رأيت ابن عباس وعنده نافع بن الأزرق وهو يسأله ويطلب الاحتجاج باللغة"[4]، وذكر أيضا أنه كان على رأي الخوارج فقال "وهذا رأي قد استهوى جماعة من الأشراف –رأي الخوارج- ... وكان عدة من الفقهاء ينسبون إليه منهم عكرمة مولى ابن عباس"[5].

[1] محمود اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 46.
[2] أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 25، 26.
[3] محمود اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 47.
[4] أبو العباس المبرد، المصدر السابق، ص 1144، 1145.
[5] المصدر نفسه، ص 1137.

ميسرة المطغري: اختلفت الرويات حول تسميته ونسبه، فبعضها يُرجع نسبه الى قبيلة أزد العربية، وبعضها يُرجع نسبه الى قبيلة مطغرة البربرية، كما لقبته بعض المصادر بالحقير[1]، وبعضها بالسقاء قال ابن الأثير: "وكان خارجيا صفريا وسقَّاءً، لأنه امتهن بيع الماء بسوق القيروان"[2]، وهذه الألقاب إنما كانت من خصومه تصغيرا لشأنه وتحقيرا به[3] ويشير ابن خلدون الى أنه شيخ قبيلة مطغرة[4]، وهو الأرجح والقريب الى الصواب، وذلك بالنظر الى نجاحه في ضم كثير من القبائل في ثورته على عامل طنجة، كما أنه ترأس وفد الشيوخ الذين توجهوا الى الخليفة، لتبين ماهم عليه من جور الولاة.

كان الصفرية السباقين في إقامة دولتهم في بلاد المغرب الإسلامي، كما كانت لهم الأسبقية قبل ذلك في الثورة على عامل طنجة، غير أننا لا نجد معلومات كافية عن هذه الدولة، وبخاصة من الناحية الفكرية، فقد قللت الاسطغرافيا التاريخية من شأن هذه الدولة، على اعتبار أنه لم يكن لها دور كبير أو فعال في أحداث بلاد المغرب، هذا وقد أرجع ذلك الباحث محمود اسماعيل عبد الرزاق إلى أن هذه الدولة كانت دولة داخلية صحراوية، لم تسهم بشكل مباشر في الأحداث السياسية العالمية، مثل الدول الأخرى التي كانت معاصرة لها، وأما السبب الثاني الذي أورده فهو عن ندرة المعلومات مما جعل المصادر تحجم عن ذكرها، فظل تاريخها يلفه الغموض والإبهام[5].

ولابد ان نشير أن هذه الدولة تأسست سنة 140هـ /757م، على عصبية قبيلة مكناسة التي تقع مضاربها على وادي ملوية: من سجلماسة إلى موضع مصبه في البحر[6]، هذا وتشير المصادر التاريخية أن الصفرية من مكناسة اجتمعوا بناحية المغرب الأقصى فنقضوا

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ص 52.
[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 416.
[3] محمود اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 63.
[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 156.
[5] محمود اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 112.
[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 170.

طاعة العرب، وولوا عليهم عيسى بن يزيد الأسود[1] من موالي العرب ورؤوس الخوارج، وقد أشار ابن خلدون إلى أن عدد الصفرية الذين اجتمعوا على يزيد الأسود أربعين رجلا[2]، ومن هذا الاجتماع نشأت دولة بني مدرار، ثم اختطوا مدينة سجلماسة ، ودخل سائر مكناسة وأهل تلك الناحية من صنهاجة وزويلة وزنوج السودان تحت لوائها، وقد قام يزيد عليهم نحو خمسة عشرة سنة[3]، حتى أنكر عليه أصحابه الصفرية السياسة التي انتهجها، ووصفوه ومن معه بالسارق، كما يذكر البكري[4]

وهذه الرواية تطلعنا على مبدأ الخوارج الصفرية في الإمامة، باعتمادهم مبدأ الشورى، فاختاروا رجلا سودانيا من موالي العرب، وهذا يبين أيضا اتجاه الصفرية الى تطبيق مبدأ عدم اشتراط الامامة في قريش، وهي بذلك تجوز للعبد والحر.

ج) تأسيس الدولة الرستمية:

ترجع الفرقة الاباضية في نسبها الى عبد الله بن أباض المّري التميمي، يرتبط ظهورها ببداية النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وفي آخره تقررت الفروق بين الاباضية وغيرهم من أصحاب النحل الأخرى، ففي البصرة عاش امام المذهب التابعي الجليل جابر بن زيد في الفترة مابين 22هـ/ 96م[5].

وجابر بن زيد الأزدي كما ذكر الدرجيني "بحر العلوم العجاج، وسراج التقوى، أصل المذهب وأسّه الذي قام عليه نظامه، ومنار الدين ومن انتصبت به أعلامه، صاحب بن

[1] كان من موالي العرب ومن رؤوس الخوارج بالمغرب، يقول ابن الخطيب: "أما عيسى هذا كان صاحب ماشية ينتقل بها بين المراعي ببلاد القبلة، وكثيرا ما ينزل أرض سجلماسة" وقد نزلها في سنة 138هـ/755م. ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 137.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 172.

[3] السلاوي، المرجع السابق، ج1، ص 55. سعد زغلول عبد الحميد، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1990م،، ص 411.

[4] البكري، المصدر السابق، ص 149.

[5] البغدادي، المصدر السابق، ص 95. الشهرستاني، المصدر السابق، ص 150.موسى لقبال، المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص 164. فاروق عمر فوزي، الإمامة الاباضية في عمان، جامعة آل البيت، عمان، 1997، ص 28.

عباس رضي الله عنه"[1]، التقى جابر بعدد كبير من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخذ عنهم وقد نقلت كتب السير عن جابر أنه قال: " أدركت سبعين رجلا من بدر فحوينا ما عندهم من العلم إلا البحر الزاخر"[2] ويقصد به ابن عباس، وكان ابن عباس يقول عنه: "اسألوا جابر بن زيد فلو سأله من بالمشرق والمغرب لوسعهم علمه"[3]. ولما توفي جابر بلغ ذلك أنس بن مالك فقال: "مات أعلم من على ظهر الأرض" أو قال: "مات خير أهل الأرض"[4].

وخلفه على رئاسة الاباضية أحد تلامذته وهو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة مولى بني تميم، قطب أهل الاستقامة عندهم وإمامهم الثاني، عاش أبو عبيدة في البصرة، وأخذ العلم عن جابر بن زيد، وجعفر بن السماك، وضمام بن السائب العبدي العماني، وهو أشهر علماء الاباضية في مرحلة الكتمان، ويروي بعض مؤرخي الاباضية أن أبا عبيدة قد أدرك بعض الصحابة، الذين أخذ عنهم أستاذه جابر بن زيد، وتلقى عنهم العلم، وروى الأحاديث عنهم، ومنهم: أنس بن مالك وأبو هريرة، وعبد الله بن عباس وأبو سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها[5].

وخلال مرحلته هاته قام أبو عبيد بتأسيس معهد للدراسات الاباضية بالبصرة، كان هو المشرف عليه، وكان يعلم الطلبة ويدربهم على القيام بنشر الدعوة، ثم يبعث حملة العلم الى مختلف البلدان، وكانت التعليمات التي يتلقاها هؤلاء الطلبة بأن يكون نشاطهم سريا، حتى يخلقوا ظروفا ملائمة، وتجتمع لهم القوة الكافية، من ثم يعلنون حالة الظهور[6].

[1] الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 205.
[2] الدرجيني، المصدر السابق، ص 205.
[3] المصدر نفسه، ص 205. بكير بن سعيد أعوشت، دراسات اسلامية في الأصول الاباضية، مكتبة التضامن للطباعة، القاهرة، ط 3، 1988م، ص 16.
[4] الدرجيني، المصدر السابق، ص 205.
[5] المصدر نفسه، ص 238، 239. عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، مطبعة دار الشعب، عمان، 1978م، ص 103.
[6] أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 05.

وليس من شك أن بلاد المغرب ضفرت من أبي عبيدة باهتمام كبير، إذ كانت ميدانا خصبا لنشر المذهب، فبعث بداعيته سلمة بن سعد في بداية القرن الثاني للهجرة لنشر الدعوة الاباضية بين المغاربة[1].

وقد انتقل مغامرا وارتاد البلاد من منطقة الى أخرى، حتى وصل الى إفريقية، فبث فيها أرائه، وعلوم الطائفة كما سمعها من استاذ المذهب أبي عبيدة[2]، ويلاحظ أن نشاطه أثمر، لأننا لاحظناه يحافظ على علاقته بالبصرة، وبامام المذهب[3]. كما استطاع سلمة بن سعد أن يكسب قلوب البربر، وأن يبين تعاليم المذهب وأصوله الفقهية لهم، وسلمة بن سعد عالم عامل وداعية، صنفه الدرجيني في طبقة تابعي التابعين، أخذ العلم عن داعية المذهب جابر بن زيد، وعن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وعن ضمّام بن السائب وغيرهم[4]، وهو أول من جاء من البصر يريد مذهب الاباضية، ليدعو إليها في بلاد المغرب[5].

تشير المصادر الاباضية أن سلمة بن سعد لما قدم المغرب، بدأ في نشر دعوته في أوساط البربر، وقد استطاع أن يجمع حوله نفرا من طلبة العلم، واختار من هؤلاء خمسة طلبة يمثلون مختلف الجهات المغرب، وذلك للاستزادة من العلوم على يد إمام المذهب بالبصرة، فاختار أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وعاصم السدراتي من غرب الأوراس، وأبو داوود القبلي النفزاوي من نفزاوة جنوب إفريقية، وإسماعيل بن درار الغدامسي جنوب طرابلس، وانظم اليهم عبد الرحمن بن رستم من القيروان[6].

ويشير صاحب سير الائمة وأخبارهم أن عبد الرحمن بن رستم قام في ذلك مجتهدا –أي في تلقي المذهب عن سلمة بن سعد-غاية الاجتهاد فقيل له "إن كنت تريد علم أهل هذا

[1] محمود اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 54.
[2] الشماخي، المصدر السابق، ص 212.
[3] موسى لقبال، المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص 165.
[4] مجموعة من الباحثين، معجم أعلام الاباضية، جمعية التراث، القرارة غرداية، 1999م، ص 391.
[5] أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 25.
[6] المصدر نفسه، ص 25، 26. الشماخي، امصدر السابق، ج1، ص 40. الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 11. محمود اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 55.

الأمر الذي تطلبه فعليك بالبصرة، ففيها عالم يكنى بأبي عبيدة"[1].وتوجه هؤلاء النفر إلى البصرة، وظلوا في صحبة أبي عبيدة خمس سنوات، يتلقون العلم على يده، ويعدون العدة للظهور، ويتعلمون أصول الحكم وفنونه[2]، وسنحاول ترجمة هؤلاء النفر كل واحد على حدا.

أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري: قال الشماخي في السير: "ومنهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الحميري اليمني"[3]، وقد انظم الى البعثة عندما وصلت الى البصرة"[4]، وعندما عادت عقدوا له بإمامة الظهور[5]، وتشير المصادر أن أبا عبيدة هو الذي أشار بتوليتها إيَّاها، وذلك بعد أن استشاره واحد من أفراد البعثة، وكانوا قد عزموا السير الى بلادهم، يقول أبو زكرياء في حديثه عن ذلك: "يا شيخنا، قد كانت لنا في المغرب قوة، ووجدنا من أنفسنا طاقة، أفنولي على أنفسنا رجل منا، وما ترى؟. فقال لهم أبو عبيدة توجهوا إلى بلادكم فإن كان في أهل دعوتكم ما تجب به عليكم التولية في العدد والعدة من الرجال، فولوا على أنفسكم رجلا منكم، فإن أبى فاقتلوه، فأشار إلى أبي الخطاب"[6]، وبعد مبايعته تولى أمور الاباضية، كما أشرنا الى ذلك عند حديثنا عن ظهور الخوارج في بلاد المغرب.

عاصم السدراتي: من أئمة المغرب ومشاهير أيشياخها، وقادة أهلها، قيل أن أصله من قبيلة سدراتة في جبال الأوراس، وقيل بل من غرب ورجلان، وهو أحد حملة العلم الخمسة الذين توجهوا الى أبي عبيدة بالبصرة[7]، بعد عودت حملة العلم، وعقد الإمامة لأبي الخطاب، قسمت المسؤوليات على أفراد البعثة، فكلف عاصم بالاشتغال بالدعوة في مجال

[1] أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 26. وقيل أن أمه هي من قالت له ذلك. الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 12.
[2] محمود اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 55.
[3] الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص 245.
[4] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 81.
[5] أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 37.
[6] المصدر نفسه، ص 36.
[7] الشماخي، المصدر السابق، ص 267. مجموعة من الباحثين، معجم أعلام الاباضية، المرجع السابق، ص 499.

حر، فأخذ ينتقل من مكان لآخر بين المدن والقرى الضاربة في الصحراء، يلقي المواعظ ويحل المشاكل، إذ كان يركب ناقته وينتقل بين الأحياء، حتى صار الناس يعرفون مواعيد حله وترحاله، وقد أقام عدة مجالس تعليمية، يجتمع عليه العامة للسؤال والاستفتاء، ويلقي دروس الوعظ والإرشاد ، وقد قيل عنه أنه كان ممن "يجمع العلم والعمل، والجهاد والحزم، وشدة العزم والرأي، وحيد الدهر، وفريد العصر[1].

ويذكر أبو زكرياء أن عاصم كان في جيش أبي الخطاب عندما حاصر القيروان فقال: "ثم أن عاصما السدراتي مرض مرضا شديدا، وكان من خيار العسكر، وهو أحد الخمسة الحملة للعلم ... فسمع أهل القيروان بمرضه، وأنه اشتهى قثاءة، فبعث أهل القيروان رجلا بياعا يبيع القثاء، فسموا منها قثاءة، وأموره أن لا يبيعها إلى لعاصم السدراتي ... فلما أتوه بها فأكلها، فقطعه السم فمات"[2]، وقد علق على هذا النص علي يحي بن معمر بقوله " ولا شك بأن أبا زكرياء واهم، فأغلب المصادر تذكر على أن عاصم السدراتي كان مع أبي حاتم، ولو قتل مع أبي الخطاب لما ذكر"[3].

والراجح هو ما ذهب إليه يحي بن معمر أن وفاة عاصم كانت بعد أبي الخطاب، ولعله استند في ذلك الى قول الشماخي الذي ذكر رواية عن ابن سلام وفيها أن عاصم كان مع جيش أبي حاتم[4]، قال يحي بن معمر: "والأقرب ما رواه ابن سلام لأنه قال: رويته عن سليمان بن زرقون، وفي كتب المخالفين ما يدل على أنه كان حيا بعد ابي الخطاب والله أعلم"[5].

إسماعيل بن درار الغدامسي: وهو من طرابلس الغرب، سافر إلى البصرة مع البعثة التي أرسلها سلمة بن سعد، والتحق بحلقة الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، التي كانت

[1] الشماخي، المصدر السابق، ص، ص 268.
[2] أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 39.
[3] علي يحي معمر، الاباضية في الجزائر، مطبعة الدعوة الاسلامية، ط 1، 1979م، ص 132.
[4] الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص 267.
[5] علي يحي بن معمر، المرجع السابق، ص 132.

مستخفية في سرداب، وإسماعيل هذا أحد الشيوخ المشهورين بالعلم والتعليم والعمل والورع، "وهو السائل لأبي عبيدة قبل الوداع -بعد أن تعلموا عنه خمسة أعوام من نحو ثلاثمائة مسألة من مسائل الأحكام-أردت أن تكون قاضيا يا ابن درار؟. فقال: أرأيت إن ابتليت بذلك يا شيخ، فابتلي بالقضاء"[1]، فعند رجوع هذه الكوكبة الى بلاد المغرب، وحين قامت إمامة الظهور لأبي الخطاب في طرابلس الغرب بين 757/140م و145هـ/762م، عين إسماعيل بن درار الغدامسي قاضيا للإمامة[2]، لكنه آثر التعليم على القضاء فاعتزله، واشتغل بالتدريس، والتحق به طلاب عاصم السدراتي، وأخذوا عنه أكثر مما أخذوا عن شيخهم، ومن أشهر تلامذته: أبو المنيب محمد بن يانس الدركلي[3].

ومن خلال ابن يانس الدركلي تتضح قيمة اسماعيل بن درار في التعليم وقوة الحجة، وسرعة الاستحضار، وبخاصة في الرد على المعتزلة، الذين كان لهم سطوة بالقرب من تيهرت، فقد اختير تلميذه هذا لمواجهة خطرهم بطلب من الإمام، كما سنبين في المناظرة التي جمعته مع المعتزلة، وهذا ما يبرز ثقل هذه الشخصية في منطقة جبل نفوسة التي ظلت منطقة تعج بعلماء الإباضية.

أبو داوود القبلي: هو أبو داوود القبلي النفزاوي من نفزة، وهي مدينة مشهورة من أرض الزاب، تقع جنوب إفريقية[4]، أخذ علومه الأولى عن سلمة بن سعد، انتقل مع البعثة إلى المشرق، لتلقي مختلف العلوم عن أبي عبيدة، وعند رجوعه الى بلاد المغرب اهتم بالتدريس وتعليم الأجيال أمور دينهم[5]، وقد روي عنه أن الإمام عبد الوهاب مع كثرة علمه إذا جلس بين يديه ظهر كالصبي أمام المعلم[6].

[1] الشماخي، المصدر السابق، ص 268.
[2] مجموعة من الباحثين، معجم أعلام الاباضية، المرجع السابق، ص 110.
[3] المرجع نفسه، ص 110.
[4] سيف بن أحمد البوسعيدي، حملة العلم الى المغرب ودورهم في الدعوة الاسلامية، دائرة الوعظ والبحوث الاسلامية، د ت، ص 33.
[5] مجموعة من الباحثين، معجم أعلام الاباضية، المرجع السابق، ص 285.
[6] الشماخي، المصدر السابق، ص 271.

لقد عملت هذه البعثة بعد عودتها الى بلاد المغرب بمبايعة أبي الخطاب بن السمح المعافري إماما، ورئيسا سياسيا، فرتب بدوره شون الطائفة، وأقام نظاما سياسيا دينيا في طرابلس، ثم في إفريقية كلها، بمساعدة رفقائه من حملة العلم، وقد أصبح أبو درار الغدامسي قاضيا للطائفة، وعبد الرحمن بن رستم عاملا على السرت[1]، واسندت مهمة قيادة الجيش الى عاصم السدراتي، بعد أن هم أبو الخطاب في دخول القيروان.

كما أصبحت هذه البعثة تمثل طلائع الرابطة الجديدة، بين المغرب العربي والمشرق، ورمزا للتجاوب بين التيارات الفكرية السائدة بينهما[2].

كان انتقال عبد الرحمن بن رستم الى المغرب الأوسط إيذانا بظهور الدولة الرستمية، التي أصبحت قوة جديدة، لها أثرها البالغ في تشكيل أحداث المغرب كله، إلى نهاية القرن الثالث الهجري، والى عبد الرحمن يعزى الفضل في تأسيس دولة الاباضية، التي كان حكمها في أسرته من بعده، وليس غريبا أن يرضخ بربر المغرب الأوسط إلى زعامة إمام من غير البربر، فإن كافة الدول التي قامت في بلاد المغرب حتى قيام الدولة الفاطمية، اعتمدت على شخصيات من غير البربر[3].

وذلك لأن هاته الشخصيات كانت لها مكانة علمية ودينية كبيرة، بالإضافة الى شخصية قوية، وحنكة سياسية، وهي أمور تميز بها أهل المذاهب والنحل التي وفدت من المشرق، ولأن هاته الشخصيات كانت تختار مسبقا من قبل دعاة المذاهب، وكانت بالإضافة الى ذلك تتلقى تكوينا مسبقا في طريقة نشر الأفكار والمذاهب.

[1] موسى لقبال، المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص 166.
[2] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، 82.
[3] محمد اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 144.

ومؤسس الدولة هو عبد الرحمن بن رستم بن بهرام وهو دواس بن سابور بن بابك الملك الفارسي[1] من أصل فارسي، كان أبوه مولا لعثمان بن عفان –رضي الله عنه- وتطلعنا الروايات التاريخية عن سبب وصوله، أن أباه قدم مكة حاجا، وكان برفقة زوجه وولده عبد الرحمن، فماة أبوه، وتزوجت أمه برجل من القيروان، فأقبل مع أمه[2]، والراجح أن وصول عبد الرحمن الى المغرب حدث في آواخر القرن الأول الهجري، وقد التقى داعية المغرب سلمة بن سعد، الذي أخذ عنه المذهب الإباضي[3].

ثم توجه عبد الرحمن الى البصرة، للتفقه على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[4] سنة 135هـ/ 752م، وقد أمضى خمسة سنوات في حضرته يتلقى العلم، وأصول المذهب الإباضي وفروعه[5].

لما نزل عبد الرحمن جبل سوفجج[6] وشاع خبر نزوله، قصده الإباضية هناك من كل مكان، حتى جبل نفوسة بطرابلس، ولما كثر جمعه خرج من حصن الجبال الى حصن الرجال، وفكر هو وأصحابه في تأسيس مدينة تكون رمزا لاستقلالهم، وحصنا يمتنعون به على من نواهم، فأنشئوا مدينة تيهرت 144هـ/ 761م[7]، وكان حولها قبائل من البربر مثل هوارة ومكناسة ونفوسة ولماية ومزاتة وغيرهم، وكانو كلهم اباضية إلا النادر[1].

---

[1] أبو القاسم بن إبراهيم البرادي، الجواهر المنتقاة في اتمام ما أخل به كتاب الطبقات، مخطوط بمكتبة كلية الدعوة الاسلامية، الجمهورية الليبية، تحت رقم 30، عدد الأوراق 239، الورقة 174. أبو العباس أحمد الشماخي، كتاب السير، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009م، ج2، ص 263، 264.

[2] الحريري، المرجع السابق، ص 77.

[3] محمد اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 145.

[4] أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 36.

[5] محمد اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 145.

[6] لم تحدد المصادر الجغرافية مكان هذا الجبل، غير أننا وحسب الاشارات التي اوردها ابو زكريا يمكن تحديده على أنه جبل يقع الى الجنوب من تهرت، وهو المكان الذي تحصن به عبد الرحمان بن رستم لما قدم ابن الاشعث في اثره فحاصره به، حتى يئس من ذلك لحصانته ومناعته فرجع الى القيروان، ويمكن تحديده أيضا على أنه جبل من سلسلة جبال بين مدينة شلالة ومدينة سوقر غربا، وتبدأ هذه السلسلة بجبال الناظور في شرق مدينة السوقر. ابو زكرياء، المصدر السابق، ص 47. محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2010م، ص 237.

[7] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 25. ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 196. مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 64، 65.

أخذت أخبار عبد الرحمن بن رستم تملأ الأفاق في المغرب الأوسط، حتى وصلت مسامع محمد بن الأشعث في القيروان، فجهز جيشا سار به إلى سوفجج، ونزل في سفحه وحفر خندقا حول معسكره خوفا من هجوم عبد الرحمن ومن معه عليه، وظل محاصرا للجبل مدة طويلة حاول خلالها اقتحام الجبل بكل الوسائل لكنه فشل[2].

وقد تشاور عبد الرحمن بأهل العلم والخبرة، وانضم إليهم أيضا في هذه المهمة رؤساء الإباضية ومشائخهم[3]، ليختاروا المكان الذي يصلح لبناء مدينة تكون حرزا وحصنا لهم، فطافوا أطراف البلاد، فاستحسنوا موضع تيهرت[4]، وهي على بعد خمسة أميال من تيهرت القديمة، يقول البكري: "وتاهرت مسورة لها ثلاثة أبواب ... ولها قصبة مشرفة على السوق وتسمى المعصومة، وهي على نهر يأتيها من جهة القبلة، ونهر آخر يجري من عيون تجتمع تسمى نافس ومنها شرب بساتينها"[5].

وبعد الفراغ من بناء المدينة، اجتمعت الإباضية لمبايعة إمام للدولة الناشئة، فكان عبد الرحمن بن رستم إماما لها، وأُعلن قيام الدولة الاباضية الجديدة[6]، وقد سجلت المصادر التاريخية سنة 160هـ /776م تاريخا لهذه البيعة.

وهكذا يكون عبد الرحمن بن رستم بعد مبايعته بالإمامة أول إمام لأول دولة في المغرب الأوسط عرفت بالدولة الرستمية، وكانت دولة إباضية تستظل بها جميع القبائل المعتنقة لهذا المذهب من المغربين الأدنى والأوسط، إضافة الى قبائل أخرى كانت تعتنق

---

[1] سليمان الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية، دار أبو سلامة للنشر والتوزيع، تونس، دت، ج2، ص 04.

[2] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 86.

[3] محمود اسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 149.

[4] سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 297.

[5] البكري، المصدر السابق، ص 66، 67. الدرجيني، المصدر السابق، ص 42.

[6] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 94.

T. Lewicki, La répartitions géographique des groupements ibadites, Rocznik orientalistyczny, Warszawa, 1957, pp 307, 311.

غير الإباضية كقبيلة أوربة التي كانت على مذهب المعتزلة، والذين كان مجمعهم قرب مدينة تيهرت[1].

أما عن حدود الدولة فهي لم تعرف حدودا ثابتة ظاهرة المعالم خلال تاريخها، لأن الحدود لم تكن تعرف خلال هذه الفترة، وإنما نوردها على سبيل التقريب، حتى تتضح الرقعة الجغرافية التي جرت فيها الأحداث، امتدت حدودها من ناحية الشمال حتى ممالك العلويين من إخوان الأدارسة، وينفسح لها المجال من الناحية الجنوبية إلى ورجلان، ويمتد منها شريط على وادي ريغ الى الجريد وجبال دمر إلى طرابلس وجبال نفوسة[2].

وعليه يمكن القول أن الدولة الرستمية عرفت حدودا متموجة تمتد أحيانا وتتقلص أخرى، وهو أمر مفهوم في مثل العصر الذي قامت فيه هذه الدولة، والبقعة التي قامت عليها، وأما أقصى مد لها فهو ما بلغته خاصة في عهد الأئمة الثلاثة الأول: عبد الرحمن بن رستم (160- 168هـ/ - 784م)، وعبد الوهاب بن عبد الرحمن (168-188هـ / 784-803م)، وأفلح بن عبد الوهاب (188- 238هـ / 803- 852م)[3].

- **المعتزلة ببلاد المغرب.**

أولا: نشأة المعتزلة وانتشارهم ببلاد المغرب.

تعتبر المعتزلة من أبرز الفرق التي عرفها العالم الإسلامي، والتي عرضت موضوع علم الكلام في نسق مذهبي متكامل، حتى أصبحت قواعد علم الكلام في إطار الحدود التي وضعها رجالها، وقد لعبت هذه الفرقة دورا كبيرا، وبخاصة في الجانب السياسي والعقائدي الذي تميز عندهم بالنزعة العقلية، فاحتلوا بذلك مكانة بارزة في تاريخ الفكر الإسلامي، وشاعت مناظراتهم في قصور الخلفاء والأمراء، وبين الخاصة والعامة.

[1] أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 67.

[2] مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 65.

[3] بحاز ابراهيم بكير، الدولة الرستمية 160-296هـ/ 777- 909م دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية، جمعية التراث، القرارة غرداية، ط2، 1993م، ص 108.

وقد اعترف لهم الكثير من الخصوم فضلا عن الأتباع بهذا الفضل، يقول الملطي (تـ 377هـ/ 987م) في حديثه عنهم: "والطائفة السادسة: من مخالفي أهل القبلة المعتزلة، وهم أرباب الكلام وأصحاب الجدل والتميز والنظر والاستنباط، والحجج على من خالفهم وأنواع الكلام، والمفرّقون بين علم السمع وعلم العقل، والمنصفون في مناظرة الخصوم"[1] ويقول عنهم الإسفريني (تـ 471هـ/ 1078م) –من الخصوم- "إنهم أول فرقة أرسوا قواعد الخلاف"[2].

ولعل من الميزات التي انفردوا بها عن غيرهم من أصحاب المدارس الكلامية، امتناعهم عن تقليد أراء غيرهم، فكان همهم التمسك بالآراء لا بالأسماء، والبحث عن الحقيقة لا البحث عن قائلها، وبذلك عُرفوا بحرية الاجتهاد، وقد اعتمدوا في كل ذلك على العقل في إثبات العقائد حتى صار إمامهم في كل شيء[3].

والمعتزلة يمكن تعريفهم على أنهم فرقة من القدرية، خالفوا قول الأمة في مسألة مرتكب الكبيرة[4]، بزعامة واصل بن عطاء[5] وعمرو بن عبيد[1] زمن الحسن البصري. أو هو

[1] ابن عبد الرحمن الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1993، 29، 30.

[2] أبو المظفر الاسفريني، التبصير في الدين وتميز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين، تحقيق زاهد الكوثري، مكتبة الخانجي، 1955، ص 35.

[3] عبد المجيد بن حمده، المرجع السابق، ص 158.

[4] "هو كل ذنب ختم بلعنة أو غضب أو نار فهو من الكبائر". ورأي المعتزلة في هذه المسألة أن أن من قتل أو زنى أو ارتكب كبيرة فهو فاسق ليس بمؤمن، ولا حكمه حكم المؤمن في التعظيم والمدح، لأنه يلعن ويتبرأ منه، ولا يدفن في مقابر المسلمين؛ فله منزلة بين المنزلتين. القاضي عبد الجبار، الأصول الخمسة، تحقيق فيصل بدير عون، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ط1، 1998م، ص 71. أبو القاسم البلخي، ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق فؤاد السيد، الدار التونسية للنشر، 1986م، ص 115. تقي الدين أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام، اعتناء عامر جزار وأنور الباز، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط3، 2005م، ج11، ص 354. الشهرستاني، المصدر السابق، ص 61. قدرية عبد الحميد شهاب الدين، موقف ابن تيمية من الإعتزال في مسائل العقيدة، أطروحة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1984م، ص 602.

[5] أبو حذيفة واصل بن عطاء البصري المعروف بالغزال، مولى بني ضبة، وقيل مولى بني مخزوم، كان أحد الأئمة البلغاء المتكلمين في علوم الكلام وغيره، سمع له الحسن البصري من التصانيف كتاب "أصناف المرجئة" وكتاب "معاني القرآن" وهو من الطبقة الرابعة من طبقات المعتزلة تـ 131هـ/748م. يقول ابن خلّكان فيما نقله عن أبي العباس المبرد في كتابه الكامل : " كان واصل أحد الأعاجيب ذلك أنّه كان ألثغ ، قبح اللثغة في الرّاء فكان يخلّص كلامه من الرّاء ولا يفطَن لذلك، لاقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه". ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج6، ص 7. البغدادي، المصدر السابق، ص 107. أحمد بن يحي بن المرتضي، طبقات المعتزلة، عنيت بطبعه سوسنة ديقلد قلزر، بيروت، 1987م، ص28.

اسم يطلق على تلك الفرق التي ظهرت في الإسلام أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجا عقليا صرفا في بحث العقائد، وقررت أن المعارف كلها عقلية حصولا، ووجوبا قبل الشرع وبعده[2].

والمؤرخون وأصحاب الفرق والمقالات لا يذكرون السنة التي ظهرت فيها فرقة المعتزلة، سوى إيراد أن ظهورها كان في القرن الثاني للهجرة، وذكروا المكان الذي ظهرت فيه وهو البصرة، وأنَّ ذلك كان بعد اعتزال واصل بن عطاء لمجلس شيخه الحسن البصري، يقول الشهرستاني في حديثه عن المعتزلة: "والقدرية[3] ابتدءوا بدعتهم في زمن الحسن، واعتزل واصل عنهم وعن أستاذه بالقول منه: بالمنزلة بين المنزلتين، فسمي هو أصحابه معتزلة"[4].

كما قيل أن سبب تسميتهم بالمعتزلة هو القول بالمنزلة بين المنزلتين أي باعتزال صاحب الكبيرة عن المؤمنين والكافرين جميعا[5]. وقيل أن اسم الاعتزال يرجع الى سريان نزعة الزهد فيهم، واعتزالهم الناس[6].

وهناك روايات أخرى ترى أن الاعتزال أقدم من واصل بن عطاء فكان من قبل الصحابي سعد بن أبي وقاص (تـ 55هـ/ 674م) وجماعة من الصحابة، كعبد الله بن عمرو

---

1 هو أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب البصري المعتزلي القدري، وهو مولى بني تميم، كان شيخ المعتزلة في وقته ومفتيها، وإليه تنتسب الطائفة العمروية، وقد شارك واصلا في بدعة القدر، وفي ضلال قولهما بالمنزلة بين المنزلتين، من مصنفاته كتاب العدل والتوحيد، وكتاب التفسير، ولد سنة 80هـ/699م وتوفي في أيام المنصور سنة 144هـ/761م. ينظر: شمس الدين الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج 3، ص273، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1988م، ج3، ص314، البغدادي، المصدر السابق، ص 110. أحمد بن يحي المرتضي، المصدر السابق، ص 35. البلخي، المصدر السابق، ص 68، 69.

2 عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط1، 2000م، ص 13. ألفرد بال، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط3، 1987م، ص 118.

3 من التسميات التي أطلقت عليهم أيضا القدرية، يقول الشهرستاني: "ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية". الشهرستاني، المصدر السابق، ص 57.

4 المصدر نفسه ، ص 37.

5 المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص 174. أحمد محمود صبحي، في علم الكلام دراسة فلسفية لأراء الفرق الإسلامية في أصول الدين (المعتزلة) ، دار النهضة العربية، بيروت، ط5، 1985م، ص 110.

6 أحمد شوقي إبراهيم العمرجي، المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2000م، ص 22.

وأسامة بن زيد، لما اعتزلوا الفتنة ولم يشاركوا في الحرب مع علي أو ضده[1]، وهناك رأي آخر يذهب إلى أن الاعتزال كان من قبل جماعة اعتزلوا الحسن بن علي، لما تخلى عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان[2]، غير أن الأصح ما ذكرناه في أول تعريف، وهو قول جمهور أصحاب الملل والنحل.

وقد افترقت المعتزلة كما تذكر المصادر الى فرق عديدة، كل فرقة منها تكفر سائرها، ومنها: الواصلية[3]، والعمورية[4]، والهُذلية[5]، والنَّظاَّمية[6]، والأسوارية[7]، والمعمرية[8]، والإسكافية[9]، والجعفرية[10]، والبشرية[11]، والمردارية[12]، والهشامية[13]، والثُّمامية[14]، والجاحظية[15]، والخياطية[16]، والشحامية[17]، والكعبية[18]، والجبَّائية والبهشية[19]، فهذه هي فرقهم على الترتيب الذي ذكره البغدادي.[20]

[1] عبد المجيد بن حمده، المرجع السابق، ص 160. رشيد البندر، مذهب المعتزلة من الكلام الى الفلسفة، دار النبوغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1994م، ص 21.

[2] الملطي، المصدر السابق، ص 30.

[3] نسبة الى واصل بن عطاء (تـ 131هـ/748م). الشهرستاني، المصدر السابق، ص 59.

[4] أصحاب عمر بن عبيد بن باب البغدادي (تـ 277هـ/109م)، البغدادي، المصدر السابق، ص 110.

[5] نسبة الى حمدان بن الهذيل (226هـ/ 841م). الشهرستاني، المصدر السابق، ص 63.

[6] نسبة الى ابراهيم بن سيَّر بن هانئ النظام (تـ 231هـ/ 846م). المصدر نفسه، ص 66.

[7] أتباع علي الأسواري البغدادي (تـ 200هـ/ 815م)، البغدادي، المصدر السابق، ص 136.

[8] نسبة الى مُعمَّر بن عباد السلمي(تـ 215هـ/ 830م). الشهرستاني، المصدر السابق، ص 78.

[9] أتباع محمد بن عبد الله الاسكافي (تـ240هـ/854م). البغدادي، المصدر السابق، ص 150.

[10] أتباع جعفر بن حرب وجعفر بن بشر (تـ هـ/ 850م). المصدر نفسه، ص 149.

[11] نسبة الى البشر بن المعتمر (تـ 326هـ/ 939م). الشهرستاني، المصدر السابق، ص 76.

[12] نسبة الى عيسى بن صبيح المكنى بأبي موسى (تـ 226هـ/ 841م)، الملقب بالمردار. المصدر نفسه، ص 81.

[13] أتباع هشام بن عمر الفُوطي (تـ 226هـ/ 841م). المصدر نفسه، ص 83.

[14] نسبة الى ثمامة بن أشرس النميري (تـ 213هـ/ 828م). المصدر نفسه، ص 82.

[15] أصحاب عمر بن بحر أبي عثمان الجاحظ (تـ 256هـ/ 870م). المصدر نفسه، ص 86.

[16] نسبة الى أبي الحسين بن أبي عمرو الخياط (تـ 300هـ/ 913م). المصدر نفسه، ص 88.

[17] أصحاب أبي يعقوب الشحام (تـوفي نحو 280هـ/ 893م). البغدادي، المصدر السابق، ص 157.

[18] أتباع أبي القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي (تـ 273هـ/ 789م). المصدر نفسه، ص 159.

[19] الجبائية والبهشمية نسبة الى أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجُبَّائي وابنه أبي هاشم عبد السلام (تـ 303هـ/816م). الشهرستاني، المصدر السابق، ص 89.

[20] البغدادي، المصدر السابق، ص 104. الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص 57.

وقد نشطت حركة المعتزلة مع بداية الدولة العباسية، وبخاصة في عهد المأمون، الذي صارت إليه مقاليد الحكم (198-218هـ/814-833م)، فلم يكتفي بالإحسان إلى المعتزلة فمنحهم نصيبا من الحرّية في ممارسة نشاطهم، بل إنّه اعتنق آراءهم و تبنّاها ودافع عنها[1]، و حاول في آخر حياته أن يفرض هذه الآراء على الآخرين بما يملك من وسائل الترهيب والترغيب، ومن هنا فإنّ المعتزلة في عهده صارت في يدهم مقاليد الحكم، وصارت إليهم الكلمة العليا في ميدان الخصومات المذهبية، واستطاع مفكروهم أن ينتشروا ويضمّوا إليهم أنصارا ويحاولوا صبغ الدولة كلّها بالصبغة الاعتزالية، وهو أمر لم يتح لهم قبل ذلك بهذه الصورة القويّة.

وبعد وفاة المأمون اقتدى المعتصم (218-227هـ/833-842م) بأخيه في حمل الناس على أقوال المعتزلة، وتقريب علماءها عملا بوصية أخيه الذي أوصاه بحمل الناس بعده على القول بخلق القرآن[2]، وأن يعتمد على أحمد بن أبي دؤاد في جميع أموره[3]، كما طلب منه أن يشرك أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد فلا يفارق مجلسه قال: "فإنه موضع ذلك منك"[4]. وهكذا استطاعت المعتزلة تعميق جذورها ونجح دعاتها في إعداد المسرح لمواصلة نشاطها[5] وقاموا بإرسال الرسل إلى مختلف المناطق.

وبلاد المغرب كانت من بين المناطق التي احتضنت الفكر الاعتزالي، وهكذا يكون دخوله بالتوازي مع الفكر الخارجي والشيعي، الذي وجد صداه في هذه المنطقة، وقد أدى مهمة نشر المذهب في هذه البلاد عبد الله بن الحارث مبعوث[6] واصل بن عطاء، قال البلخي "وفرق رسله في الأفاق يدعون الى دين الله، فأنفذ إلى المغرب عبد الله بن الحارث، فأجابه

[1] جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2003م، ص 266.

[2] سنتعرض لهذه المسألة.

[3] أحمد شوقي إبراهيم العمرجي، المرجع السابق، ص67. عبد الرحمن سالم، التاريخ السياسي للمعتزلة حتى القرن الثالث هجري، دار الثقافة، القاهرة، 1989م، ص199. إسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص 223.

[4] الطبري ابن جرير، تاريخ الأمم و الملوك، تحقيق عبد الأعلى مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1998م، ج7، ص533،534. محمد بن أحمد بن تميم أبو العرب، المحن، تحقيق عمر سليمان العقيلي، دار العلوم الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1984م، ص 449.

[5] عبد الرحمن سالم، المرجع السابق، ص252.

[6] لم نعثر له على ترجمة باستثناء ما تناقلته المصادر أنه مبعوث واصل بن عطاء. البلخي، المصدر السابق، ص 237.

الخلق، وهنالك بلد تدعى البيضاء[1] يقال أن فيها مائة ألف يحملون السلاح يعرف أهلها بالواصلية"[2].

وبهذا يكون الاعتزال قد ظهر بالمغرب في العقود الأولى من القرن الثاني للهجرة بين سنتي (100 و110هـ/ 718 و728م)، وعليه لا يكون داعية واصل بن عطاء قد تأخر عن داعيتي الخوارج عكرمة وسلمة بن سعد، وداعية الشيعة عيسى بن محمد النفس الزكية، وقد تزامن قدومهم هذا ببعثة الفقهاء العشر من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز.[3]

والذي يلاحظ قبل الولوج في الموضوع أن المعلومات المتوفرة عن هذه الفرقة وعن نشاطها الفكري قليلة جدا، فهي مجرد إشارات عابرة في كتب الطبقات والتراجم، وهي بذلك لا تكاد تفي بالمقصود، ولعل السبب في عدم ذكر المعتزلة ونشاطهم الفكري يرجع إلى أن علماء السنة كانوا يرون هذه الفرقة من المبتدعة، والمبتدعة عندهم لا يعدون من العلماء، بالإضافة إلى أن هذا الإغفال المتعمد هو نوع من سياسة المقاومة لمحاربة أهل لبدع، لذلك فقد أسقطوهم من طبقاتهم، على الرغم من أن كثيرا من هؤلاء المعتزلة كان لهم دور كبير في مختلف النشاطات الفكرية، كالفقه واللغة، وعلم الكلام وغيرها[4]، كما كان لهم الفضل على أهل السنة ذاتهم، وذلك حين أخرجوهم من التقليد الى الاجتهاد كما سنبين ذلك.

ويأتي كلام بن عبد البر[5] دليلا وسندا لما قلناه فيقول: "أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وأهواء، ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه"[1].

[1] ذكر ياقوت الحموي أنها كورة في المغرب، ولم يزد على ذلك. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، ج1، 529.

[2] البلخي، المصدر السابق، ص 66، 67.

[3] عبد المجيد بن حمده، المرجع السابق، ص 162.

[4] ابراهيم التهامي، المرجع السابق، ص 196.

[5] يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري امام عصره، وواحد دهره، يكنى أبا عُمَر، دأب أبو عمر في طلب العلم، وفتن فيه، وبرع براعة فاق بها من تقدمه من أهل الأندلس، قال فيه أبو الوليد الباجي: "لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر بن عبد البر في الحديث" وقال فيه أيضا: "أبو عمر أحفظ أهل المغرب" توفي 463هـ/1°70م . خلف بن عبد الملك بن بشكوال، الصلة في تاريخ علماء الأندلس، اعتناء صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط1، 2003م، ص 521، 523.

ومع ذلك فإن المتتبع للآثار المتبقية من ردود أهل السنة على المعتزلة في كتب الطبقات، يمكنه أن يرسم صورة عن الاعتزال، وبعض آرائه، فنجد مثلا أن من بين المسائل التي شغلت الساحة المغربية مسألة القدر، ومسألة التوحيد التي تجسدت في مقولة خلق القرآن، ومسألة نفي الصفات، ونفي رؤية الله عز وجل في الآخرة[2]، وهذه الأصول هي قواعد أساسية في مذهب واصل، لذا فإنه من المرجح أن المغرب لم يعرف سوى مذهبه من بين الفرق السالفة الذكر، ولعل المصادر التاريخية[3] تؤكد ذلك بإطلاق مصطلح الواصلية على معتزلة المغرب، ولم نجد حسب اطلاعنا ذكرا لأي فرقة من فرق المعتزلة باستثنائها.

أ. والآراء الفكرية للمعتزلة بالمغرب الأدنى:

إن الاعتزال موقف سياسي عقائدي، وهو محاولة توفيقية للتخفيف من حدة الصراعات التي انتابت البنية الاجتماعية الإسلامية، وكادت تأدي بها، غير أنه ومع ذلك اعتبر بدعة من قبل السنيين في المشرق والمغرب، وقد تورط في هذا بسبب تقديمه للعقل على النقل عند اختلافهما، وهو الأمر الذي جعله ظاهرة غريبة في إفريقية لفظها المجتمع[4]، فكان أصحابها في عزلة ينشرون أرائهم في حذر وتستر، مخافة القضاء عليه في طور الدعوة.

ورغم هذا التحرز الذي أبداه علماء المغرب الأدنى، إلاَّ أنهم لم يستطيعوا رد بعض القضايا الفكرية التي كانت رائجة وقتذاك في المشرق، وهي اختلافات مذهبية وصراعات بين العقليين والنقليين، والتي انتقل صداها في كل الأقاليم، فالرحلات المتبادلة بين العلماء،

[1] ابن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج2، ص 95.

[2] دايرة طارق، القضاء عند الأغالبة (184- 296هـ / 800 – 909م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الاسلامي الوسيط، قسم التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، 2013ن، ص 125.

[3] ينظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص 82. أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 67. البكري، المصدر السابق، ص 66. الشهرستاني، المصدر السابق، ص 59. البلخي، المصدر السابق، ص 66، 67.

[4] عبد المجيد بن حمده، المرجع السابق، ص 163.

ورحلات الحج، والاستيطان المؤقت، كل ذلك كان كفيلا بنشر الآراء المختلفة[1]، وبخاصة تلك التي تهم العقيدة الإسلامية.

بالإضافة الى هذا العامل فإن مما ساعد على نشر المذهب الاعتزالي في إفريقية، هو أن كثيرا من الأحناف في المشرق قد مالوا الى تعاليم المعتزلة، وبخاصة بعد أن أصبح الاعتزال المذهب الرسمي لبعض خلفاء الدولة العباسية، وقد اعتبر بعض الدارسين أن مسيرة التطور الحقيقي بالنسبة للمعتزلة لم يكن إلا مع بداية العصر العباسي (132هـ/ 749م)[2]، حيث كانت الدولة العباسية متفتحة أكثر من الحكم الأموي من الناحيتين السياسية والفكرية، فمن الناحية السياسية أشرك الخلفاء العباسيون في الحكم العناصر غير العربية وخصوصا الفرس فولَّوهم بعض المناصب، ومن الناحية الفكرية فسح العباسيون المجال للمذاهب والفرق بممارسة نشاطها الدعوي.

ولما كان الأغالبة في إفريقية يتبعون مذهب بني العباس سياسيا، "كان من الطبيعي ...أن يحاكوهم في كل اتجاه يتجهونه وينسجون على منوالهم في كل ميدان من ميادين الحياة، بما في ذلك ميدان الثقافة والحياة العقلية، فكان الكلام في القدر ثم الإعتزال، والمحنة بخلق القرآن على نحو ما يجري ببغداد في نفس الوقت"[3] يتبعوهم مذهبيا، فالنتقل المذهب الإعتزالي في فترة انتسابب بعض خلفائهم الى الأعتزال، كالمأمون والمعتصم والواثق[4]، فساد بذلك المعتزلة، وسادت آراؤهم في إفريقية، كما ازداد عدد منتحلي أفكارهم، فقويت شوكتهم، ودارت الدائرة على فقهاء المالكية الذين حاولوا محاربتهم، والتصدي لهم.

ويضاف الى هذه الأسباب أيضا: وفود بعض رجالهم الى المغرب، فالإضافة الى عبد الله بن الحارث الذي أنفذه واصل بن عطاء، نجد علماء آخرين، قد ذكر المالكي أحد

[1] يوسف بن احمد حوالة، المرجع السابق، ج2، ص 10.

[2] فالح الربيعي، تاريخ المعتزلة فكرهم وعقائدهم، الدار الثقافية للنشر، د.ت، ص 24. مصطفى مغزاوي، التطور العقيدي في المغرب الاسلامي من الفتح الى نهاية القرن العاشر الهجري، مجلة عصور الجديدة، العدد 07، 08، 2013م، ص 132.

[3] عبد العزيز المجدوب، الصراع المذهبي بإفريقية الى قيام الدولة الزيرية، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1985م، ص 141.

[4] ابراهيم التهامي، المرجع السابق، ص 198.

رجالهم -وكان في مجلس الوزير علي بن حميد- قال: "وحضر محمد بن سحنون يوما عند علي بن حميد الوزير، وكان علي يبغيه، وكان يجل محمدا ويعظمه ويكبره، وكان في مجلسه جماعة ممن يحسن المناظرة، وأحضر معهم شيخا قدم من المشرق يقال له: أبو سليمان النحوي[1]، صاحب الكسائي الصغير[2] (تـ 280هـ/ 893م)، وكان يقول بخلق القرآن، ويذهب الى الاعتزال، فقال علي بن حميد الوزير لمحمد: "يا أبا عبد الله، إن هذا الشيخ وصل إلينا من المشرق، وقد تناظر معه هؤلاء، فناظره أنت"[3].

وهذه القصة تبرز مدى تأثر أهل المغرب بمن يقدم من المشرق، بالإضافة الى أن الشيخ المعتزلي ناظر جمعا من العلماء ممن كان في المجلس، والذي يفهم من سياق الحديث أنه تفوق عليهم، وهو الأمر الذي جعل الوزير يطلب من محمد بن سحنون أن يناظره.

ومما يدل على رواج الفكر الاعتزالي في إفريقية القصة التي أوردها المالكي عن عبد الله بن فروخ[4] (تـ 176هـ/792م)، لما سأل عن المعتزلة، حتى صار موضع حديث الناس، قال المالكي: وهذا عبد الله بن فروخ سأله "حيوس بن طارق فقال له: ما تقول في المعتزلة؟ فقال له: وما سؤالك عن المعتزلة؟ فعلى المعتزلة لعنة الله قبل يوم الدين، وفي يوم الدين، وبعد يوم الدين، وفي طول دهر الداهرين، فقال له حيوس بن طارق: لا تفعل فإن فيهم رجالا صالحين، فقال: ويحك ما أحسبك تخاف في نفسك في قعود، ولا في قيام من الناس، وهل فيهم رجل صالح"[5]، وسابقة هذه القصة أن المعتزلة كانت تدعي أن عبد الله بن

[1] لم نعثر له على ترجمة.

[2] محمد بن يحي أبو عبد الله الكسائي الصغير البغدادي، مقرئ محقق جليل متصدر ثقة، ولد سنة 189هـ/ 804م، أخذ عرضا عن أبي الحارث الليث بن خالد، وعن هاشم البربري، وذكر عبد المنعم بن غلبون أنه قرأ على الكسائي الكبير، توفي سنة 280هـ/893م. شمس الدين بن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006م، ج2، ص244.

[3] المالكي، المصدر السابق، ص 448، 449.

[4] وهو أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي، كان فاضلا صالحا متواضعا في نفسه، قليل الهيبة للملوك في حق يقوله، مباينا لأهل البدع ومعاديا لهم، حافظا للحديث والفقه، رحل الى المشرق، ولقي كثيرا من أهل العلم، ثم رجع الى إفريقية، وأقم بها يعلم الناس العلم ويحدثهم بسنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، ثم رحل الى المشرق، ثم تمادى الى مكة فحج، ثم رجع الى مصر الى أن توفي بها سنة ست وسبعين ومائة (176هـ/ 792م). المالكي، المصدر السابق، ج1، ص ص 176، 178. الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 238.

[5] الدباغ، المصدر السابق، ص 186.

فروخ كان على مذهبهم، فجاء حيوس بن طارق، ليتحرى قولهم، فأجابه ابن فروخ بما ذكرنا، ردا منه عن موقفه من المعتزلة، وتجريحا منه في رأيهم.

- **أهم القضيا الاعتزالية التي طرحت في المغرب الأدنى:**

1) مسألة خلق القرآن:

ظهرت مع هذه الفرقة أقوال محدثة وأفكار متعددة خالفت منهج النّبوة وافقت منهج الضلال والابتداع، وكان أعظم ما أحدثوه من قول هو ما خصّ ذات الله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته، فأهل السنة يجرون هذه النّصوص على ظاهرها من غير تشبيه ولا تجسيم ولا تعطيل ولا تكييف ولا تحريف، بينما خالفت المعتزلة هذا المنهج، وأول ما ظهر من هذه الأقوال القول بتعطيل صفات الله عزّ وجلّ، ومن هنا نفوا صفة الكلام عن الله عزّ وجلّ وقالوا إنّ الله إذا أراد أن يتكلم خلق الكلام[1] في محل ما، فيكون ذلك المحل هو المتكلم بكلام الله عزّ وجلّ لا الله سبحانه وتعالى، وقد قادهم قولهم هذا إلى القول بأنّ القرآن مخلوق[2]، يقول القاضي عبد الجبار: "وقد أطلق مشايخنا كلهم في القرآن أنه مخلوق"[3]

ولعل من أهم ما نتعرض له في كتب الطبقات حول مسألة خلق القرآن، إنما يتعلق بمواقف فقهاء المالكية، والمحن التي تعرضوا لها، جراء تصديهم للقول بخلق القرآن، وبخاصة من الأمراء والقضاة، الذين مالوا إلى مثل هذه الآراء[4]، وسنحاول من خلال هذا الفصل أن نورد بعض المواقف والمحن التي تعرض إليها أهل السنة، بالإضافة الى بعض المناظرات، حتى نستدل على رواج هذه المسألة في إفريقية.

[1] قول الجهمية و المعتزلة: يرون أنّ كلام الله تعالى مخلوق، خلقه الله تعالى منفصلا عنه، و نفوا أن يكون الكلام صفة قائمة بذاته تعالى بناء على مذهبهم في نفي الصفات عموما عن الله عزّ وجلّ، فليس لله تعالى صفات ذاتية كانت أم فعلية. ينظر: بن بطة العبكري، الابانة عن شريعة الفرقة الناجية، تحقيق يوسف الوابل، ط2، دار الراية، الرياض،1997م، ج1، ص145.

[2] محمد بن خليفة التميمي، مقالة التعطيل والجعد بن درهم، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط1997،1، ص78 .

[3] القاضي عبد الجبار، كتاب المجموع في المحيط بالتكليف، تصحيح الأب جين يوسف هوبن اليسوعي، المطبعة الكاثولكية، بيروت، د. ت، ج1، ص 345.

[4] يراجع مثلا: محمد بن أحمد بنو تميم أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت، ص 198، 219. الخشني، المصدر السابق، ص 288. المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 70.

فمن مواقف المالكية التي أوردتها كتب التراجم ترك الصلاة على من مات منهم، كامتناع البهلول بن راشد[1]، وابن غانم[2]، وابن فروخ على الصلاة على جنازة رجل يقول بخلق القرآن، يقول ابن فرحون: "فحضر هو –أي البهلول- وابن غانم وابن فروخ جنازة رجل من أصحاب البهلول فصلوا عليه، وجيء بجنازة ابن صخر المعتزلي، فقالوا لابن غانم: الجنازة؛ فقال: "كل حي ميت؛ قدموا دابتي"، وقيل لابن فروخ مثل ذلك، فقال مثله، وقيل للبهلول مثل ذلك، فقال مثله، وانصرفوا ولم يصلوا عليه"[3]. فهذه القصة تورد مدى شيوع مسألة خلق القرآن في إفريقية، لذلك فقد استعمل علماء السنة طرائق شتى من أجل القضاء على الأفكار الاعتزالية.

وأشهر من امتحن من العلماء السنيين ولم يجب "الفقيه المالكي أبو سعيد سحنون بن سعيد التنوخي" (ت240هـ/855م)، الذي أمر الأمير الأغلبي زيادة الله بن الأغلب (201-223هـ/817-838م) أن يُجلد خمسمائة سوط، وتُحلق لحيته، لأنّه رجع عن الصلاة خلف قاضيه المعتزلي عبد الله بن أبي الجواد (ت234هـ/849م)، يقول الدباغ: "كان سحنون قد حضر جنازة وهب -وكان أخوه من الرضاعة- فتقدم ابن أبي الجواد الذي كان قاضيا قبله – وكان يذهب إلى رأي الكوفيين، ويقول بالمخلوق- فصلى عليها، فرجع سحنون، ولم يصل خلفه، فبلغ ذلك الأمير زيادة الله، فأمر أن يوجه الى عامل القيروان أن يضرب سحنونا خمسمائة سوط، ويحلق رأسه ولحيته، فبلغ ذلك وزيره علي بن حميد، فأمر الوزير أن يتوقف"[4]، لكن الوزير علي بن حميد التميمي تشّفع له لدى الأمير فعفا عنه[1].

---

[1] وهو البهلول بن راشد الحجري الرعيني، فضله أشهر من أن يذكر، سمع من مالك والليث وسفيان، والحارث بن نبهان، ويونس بن يزيد، وسمع بإفريقية من ابن أنعم وموسى بن علي بن رباح، وسمع منه سحنون بن سعيد، وعبد المتعال، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، وعون بن يوسف، وأبو زكريا الحفري، ويحي بن سلام وغيرهم، توفي بالقيروان سنة ثلاث وثمانين ومائة (183هـ/ 779م)، المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 200، 201. الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 264، 278.

[2] وهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو بن غانم بن شرحبيل بن ثوبان، كان مولده ثمان وعشرين ومائة (128هـ/ 745م)، قاضي إفريقية وصاحب مالك بن أنس، كان أحد الثقات والأثبات، روى عن مالك وعليه معتمده، وروى عن سفيان الثوري، وروى بإفريقية عن ابن أنعم، وخالد بن أبي عمران وغيرهم، كانت وفاته سنة تسعين ومائة (190هـ/ 805م)، وصلى عليه ابراهيم بن الأغلب أمير إفريقية، ودفن بباب نافع. المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 215. الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 288.

[3] القاضي أبي الفضل عياض بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ظبط محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1998م، ج1، ص 198.

[4] الدباغ، المصدر السابق، المصدر السابق، ج1، ص 93.

ومن مواقف أبي سعيد سحنون أنّ الأمير زيادة الله بن الأغلب أرسل إليه يسأله عن مسألة نزلت به، فلم يجبه فيها بشيء، ورجع الرسول من عنده بلا جواب، فقال له أحد أصحابه: "أخرج من بلد القوم، لا تساكنهم؛ أمس ترجع عن الصلاة خلف قاضيهم يعني ابن أبي الجواد- واليوم لا تجيبهم في مسائلهم"، فقال له سحنون: " أتجيب إنسانا إنّما يريد أن يتفكّه، يريد أن يأخذ قولي و قول غيري؟ و لو كان شيئا يقصد به الدين لأجبته[2]".

وبعد أن استولى أبو جعفر أحمد بن أبي عقال الأغلب (ت231هـ-846م) على الحكم بعد أن عزل أخاه الأمير محمد الأول بن أبي عقال الأغلب (226-242هـ/841-857م)[3]، قام باضطهاد الناس في مسألة خلق القرآن، ونادى عبر المآذن بمذهب خلق القرآن، فتوجه أبو سعيد سحنون بن سعيد الفقيه المالكي فارا إلى الزاهد العابد أبي محمد عبد الرحيم بن عبد ربه الربعي[4] المعروف بعبد الرحيم المستجاب (ت247هـ-861م)[5].

فوجه الأمير في طلبه رجلا يقال له ابن سلطان، وكان مبغضا في سحنون بغضا عظيما، اختاره لذلك في خيل وجهها معه، فلما وصل سحنون قال له: وجهني الأمير إليك، وقصدني لبغضي فيك لأبلغ منك"[6]، فنُقل إلى القيروان، وقدم إلى مجلسٍ انعقد برئاسة الأمير أبي جعفر وحضره القاضي المعتزلي عبد الله بن أبي الجواد (ت234هـ-849م)[7]، وسأله عن القرآن؛ فقال سحنون: أمّا شيء أبتدعه من نفسي فلا، و لكني سمعت من نقلت منه وأخذت عنه، كلّهم يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، فقال ابن أبي الجواد: كفر؛

---

[1] أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، المصدر السابق، ص457، وأنظر: هوستا.م.ت وآخرون، موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، 1998م، مج 18، ص5608 . عامر حميد السامرائي، الفكر الاعتزالي وأثره في الحياة الاجتماعية بالمغرب العربي، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، العدد 18، ص 113.

[2] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص355،356.

[3] محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ترجمة المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985م، ص254.

[4] أبو محمد عبد الرحيم بن عبد ربه الربعي الزاهد، ويعرف بعبد الرحيم المستجاب، سمع من سحنون ومن أسد، وطلب العلم وعني به، وحبس كتبا كثيرة بخطه وضبطه بقصر زياد، وكانت عنده ضيعة كبيرة، بها سبعة عشر ألف شجرة زيتون، وكان مع هذا أزهد أهل زمانه، فكان كثيرة الصدقة والمعروف، أقام عنده سحنون شهرين ونصف لما فر من بني الأغلب خشية من فتنة خلق القرآن التي اضطهد الناس لأجلها، توفي سنة 147هـ/ 764. المالكي، المصدر السابق، ص 421، 423، 426، 430.

[5] أبو العرب، المحن، المصدر السابق، ص 463.

[6] الدباغ، المصدر السابق، المصدر السابق، ص 94.

[7] المصدر نفسه، ص 94.أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، المصدر السابق، ص 103.

فاقتله و دمه في عنقي، وقال مثله ممّن يرى رأيه، وقال بعضهم: يقطع أرباعا ويجعل كل ربع بموضع من المدينة، ويقال: هذا جزاء من لم يقل بكذا[1].

وفي خضم الصراع عن مصير سحنون نجد أن الأمير يستشير أحد رجاله وهو داود بن حمزة، الذي أشار أن يأخذ عليه الحملاء (أي الكفلاء) وينادي عليه بسماط القيروان، لا يُفتي ولا يسمع أحدا، ويلزم داره، ففعل ذلك أبو جعفر، وترك قول من أشار عليه بقتله[2]. وهذه الواقعة التي أوردناها تبين مدى تفشي مقولة خلق القرآن في إفريقية، فصار له جند من الإمارة يدافعون عنه بالسيف، وينكلون بكل من وقف ضد أرائه.

2) المعتزلة ومسائل التوحيد (الأسماء والصفات ورأية الله عزوجل)

لقد أجمع المعتزلة على نفي الصفات الإلهية، مدَّعين أن إثباتها ينافي التوحيد، ولقد صرح بذلك مؤسس الفرقة واصل بن عطاء فقال: "من أثبت معنى وصفة قديمة فقد أثبت إلهين"[3] فهذه العبارة رغم بساطتها وقصرها إلا أنها لخصت عقيدة المعتزلة في الصفات الإلهية، فهي تدل على أن واصل بن عطاء كان يعتبر التوحيد والواحد؛ الذي لا يتجزأ ولا يتبعض، وهذا ما وضحه شيوخ المعتزلة فيما بعد، ويتعتبر الصفات؛ أجزاء وأبعاض، يلزم من إثباتها تعدد القدماء، وهذا ينافي التوحيد بزعمهم، ويصرح بوجوب نفي الصفات حتى يتم التوحيد.

وقد أدى بهم هذا الى تأويل كل ما في القرآن من آيات تفيد التشبيه، كاليد والوجه، وصرفوها الى معاني مجازية، واعتبارا للتنزيه الإلهي، فأنكروا رأية الله عز وجل في الآخرة[4]. لاقتضائها الجسمية والجهة، وهي عندهم محالة في جانب الله تعالى[5]، يقول

[1] أبو العرب، المحن، المصدر السابق، ص 464. الدباغ، المصدر السابق، ص 93. الأندلسي محمد بن محمد الوزير السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الجيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985م، ج1، ص 772.

[2] صاحي بوعلام، الحياة العلمية في إفريقية عصر الدولة الأغلبية (184- 296هـ / 800 – 909م)، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط، كلية العوم الانسانية والاجتماعية ببوزريعة، الجزائر، 2009م، ص 139.

[3] الشهرستاني، المصدر السابق، ص 61.

[4] عبد المجيد حمده، المرجع السابق، ص 170.

[5] قدرية عبد الحميد شهاب الدين، المرجع السابق، ص 348.

القاضي عبد الجبار[1]: ومما يجب أن ينفئ عن الله تعالى الرؤية[2] وقال أيضا: "وقد دل العقل والسمع على ما قلناه في نفي الرؤية[3].

وتفيدنا كتب التراجم بعدد كبير من المناظرات التي كانت بين أهل السنة والمعتزلة حول هذه المسائل ومنها: المناظرة التي جرت مع الفقيه المعتزلي سليمان بن أبي عصفور المعروف بالفراء[4]، والفقيه المالكي محمد بن سحنون، فقال الفراء "يا أبا عبد الله. الله سمى نفسه، فأجابه محمد بن سحنون "الله سمى نفسه لنا، ولم يزل، وله الأسماء الحسنى" يقول الخشني في تعليقه على سؤال سليمان بن أبي عصفور: "أراد بذلك أن يقول له نعم، فيثبت عليه الإقرار بحدوث الأسماء والصفات"[5] فلم يفلح في ذلك لتفطن محمد بن سحنون ما يريده ابن أبي عصفور، فأفسد عليه بذلك تدبيره[6].

كما يشير أبو العرب في طبقاته الى رجل يعرف بأبي أبراهيم بن أبي مسلم كان يتكلم في الأسماء والصفات ومذاهب الجدل، ويشير الى الكلام في الفقه على معاني النظر ويقول في الله عز وجل أنه جسم لا كالأجسام، ويقول في ذلك معارضا لمن خالفه"[7]، وبالاضافة الى ابراهيم بن أبي مسلم نذكر ابن أبي روح الذي اشتغل أيضا بالمناظرة في

[1] هو قاضي القضاة عبد الجبار أحمد بن خليل بن عبد الله الهمذاني (359- 415هـ / 969 – 1025م) من أئمة المعتزلة وشيوخهم وأجمع الذين أرخوا له على علو كعبه في الاعتزال سمع الحديث من أبي الحسن بن سلمة القطان، وعبد الرحمن بن حمدان الجلاب، وعبدا بن جعفر بن فارس، وغيرهم، وروى عنه القاضي أبو يوسف عبدالسلام بن محمد ابن يوسف القزويني المفسر المعتزلي، وأبو عبد الله الحسن بن علي الصَّيْمَرِي، وأبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، كانت له مناظرة مشهورة مع ابي اسحاق الاسفريني ذكرت في طبقات الشافعية. القاضي عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن، دار النهضة الحديثة، بيروت، د. ت، ص 05, عن المناظرة راجع: تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار احياء الكتب العربية، 1918م، ج4، ص 261.

[2] القاضي عبد الجبار، كتاب المجموع في المحيط بالتكليف، المصدر السابق، ص 208.

[3] المصدر نفسه، ص 208.

[4] ستأتي ترجمته.

[5] الخشني، المصدر السابق، ص 198.

[6] يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ج2، ص 32. حفيظ كعوان، الأثر الاجتماعي والثقافي للفقهاء بإفريقية من القرن 2- 5هـ، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ والآثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009م، ص 121.

[7] الخشني، المصدر السابق، ص 285.

الأسماء والصفات، يقول الخشني: "ورجل يعرف بابن أبي روح يلقب بالبغلة. يعنى بالجدل: في خلق القرآن، وفي الأسماء والصفات"[1].

أما مسألة رؤية الله عزوجل فإن المصادر تذكر مناظرة جرت بين الفقيه المالكي المشهور أسد بن فرات، وسليمان الفراء، وذلك أن أسدا كان يحدث يوما بحديث رأية الله سبحانه وتعالي يوم القيامة، فتكلم الفراء وأنكر، فسمعه أسد فقام إليه، وجمع بين طوفه ولحيته، واستقبله بنعله فضربه ضربا شديدا، حتى أدماه[2].

وسنورد أيضا قصة أخرى ذكرها المالكي، لنستدل على رأي المعتزلة في تأويلهم لبعض آيات النظر لله عز وجل يوم القيامة، يقول المالكي: عن ابن الحداد قال: "حُدِثتُ عن أسد أن أصحابه كانوا يقرؤون عليه يوما في تفسير المسيب بن شريك، الى أن قرأ القارئ: "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ"[3]، وكان سليمان بن حفص جالسا بين يديه، فقال له: يا أبا عبد الله: من الانتظار، وكان الى جانب أسد نعل غليظ، فأخذ أسد بتلبيبه، وكان أيّداً، وأخذ بيده الأخرى نعله وقال: "أي والله يا زنديق، لتقولنَّها أو لأبيضنَّ بها عينيك" فقال: نعم ننظره[4].

وربما القصتين التي أوردناهما كانتا في مجلس واحد، باعتبار أن كلا الواقعتين كان عن مسألة واحدة وهي مسألة رؤية الله عز وجل[5]، كما أن القصتين تذكر اسم رجل واحد وهو سليمان الفراء، الذي أظهر موقفه من رؤية الله، مستدلا برأي المعتزلة، وقولها في تأويل آية النظر السالفة الذكر، كما أن القصتين تبرزان مدى حرص منتحلي آراء المعتزلة على الجلوس في حلقات العلم، التي يقوم بها أهل السنة، وذلك من أجل بث الشبهات بين

[1] الخشني، المصدر السابق، ص 290.

[2] أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، المصدر السابق، ص 82. المالكي، المصدر السابق، ص 256.

[3] القيامة الآية 22، 23.

[4] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 265.

[5] المصدر نفسه، ص 265. يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص 29.

طلبة العلم، وهذه الطريقة على الأرجح كانت في بداية التمكين للمذهب الاعتزالي، إذ أن الطريقة فيما بعد اختلفت، فسار نشر المذهب بالقوة والشدة.

3) القول بالقدر:

تعتبر مسألة القدر ثاني القواعد التي ارتكز عليها المعتزلة، كما أنها من بين أهم القضايا التي شغلت الساحة الفكرية في بلاد المغرب خلال الفترة الزمنية موضوع الدراسة، يقول الشهرستاني: "وقرر واصل بن عطاء هذه القاعدة أكثر مما كان يقرر قاعدة الصفات، فقال إن الباري تعالى: حكيم عادل، لا يجوز أن يضاف إليه شر ولا ظلم، ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر. ويحتم عليهم شيئا ثم يجازيهم عليه, فالعبد هو الفاعل للخير والشر، والإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، وهو المجازى على فعله، والرب تعالى أقدره على ذلك كله"[1].

وعن شيوع هذه المسألة في المغرب نورد قصة عن فقيه من أهل المغرب كان يعلم طلبته كيفية الرد على القدرية، وهو أبو محمد عون بن يوسف[2]، يقول المالكي: "قال عون بن يوسف: "إذا أردت أن تكفر القدري فقل له: "ما أراد الله عز وجل من خلقه؟" فإن قال: "أراد منهم الطاعة" فقد كفر، لأن منهم من عصى، وكل إله لا تتم طاعته فليس بإله. وإن قال: "أراد منهم المعصية" فقد كفر، لأن منهم من أطاع، وكل إله لا تتم إرادته فليس بإله، قال: "فإن قال لك المسؤول: "ما أراد منهم؟" فقل: "أراد منهم الذي أراد لهم، والذي كان لهم" –يريد ما سبق لهم عنده في اللوح المحفوظ-[3]، وقد أملى عليهم من خلال ما أورده طريقة الإيقاع بالقدري، مع الاحتمالات التي يمكن أن يجيب بها، والرد على كل احتمال منها.

[1] الشهرستاني، المصدر لسابق، ص 60، 61.

[2] كان رجلا صالحا، ثقة مأمونا، ولد سنة 150هـ، يقول أبو العرب: "حدثني يحي ابنه عنه قال: "قدمت المدينة سنة ثمانين ومائة، فأدركت أربعين رجلا من معلمي ابن وهب، منهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، سمع من ابن وهب ومن الفضل بن فضالة، ومن البهلول، ومن ابن غان. توفي يوم الأحد ليوم مضى من جمادى الأولى 239هـ/853م. ينظر: أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، المصدر السابق، ص 105. المالكي، المصدر السابق، ص 385.

[3] المصدر نفسه، ص 386.

ومنها أيضا ما ذكره الخشني عند ذكره للفقيه محمد بن محبوب قال: " قال لي عباس بن عيسى: قال لي الرقاديُّ: "لم يكن ابن محبوب يُتَعَادق في علم الكلام، وإنما كان كلامه: في المناظرة الدائرة بين الفقهاء في الفقه (قال): فشهدته يوما، وقد جالسه بعض القدرية فتخاوضا الكلام في القدر، فأخذ ابن محبوب كتفا بين يديه. وجعل يوقع فيها تناقض مقالة القدرية، حتى ملأها، فما رأيت كلاما أوعب لعيون المعاني من كلامه"[1]

ومما يمكن أن نستنتجه من خلال ما أوردناه عن المسائل التي خاض فيها المعتزلة، أن جل المناظرات التي ذكرت في التراجم، تبين مدى تفوق أهل السنة على المذهب الاعتزالي، فلم نجد حسب دراستنا ما يثبت تفوق المعتزلة في الجدل والمناظرة، وذلك لأن هذه الكتب هي لأصحاب المذهب السني.

والجدير بالذكر أن إغفال مثل هذه المصادر للمواقف التي انتصر فيها المعتزلة، هو أمر متعمد، الهدف منه أبراز التمكين للمذهب السني، بالإضافة إلى أن هذا السبيل هو موقف من مواقف العلماء لمحاربة الفرق والمذاهب التي تخرج عن الإطار السني، فعدم ذكر سيرهم وما خلفوه في مجال المناظرة، أمر من شأنه التقليل من رواج فكرهم بين العامة.

والملاحظ أيضا من خلال ما ورد أن الفئة التي اعتنقَت بعض مبادئ المُعتزلة، كانت الفئة الحنفيَّة وليست المالكيَّة، وربما نُرجِع ذلك إلى أن المذهب الحنفيَّ كان يَميل إلى الرأي والعقل؛ لذلك كان مِن السهل على أصحابه اعتِناق مبادئ المُعتزلة، التي تَميل أيضًا إلى النواحي العقلية[2].

وهناك اشارة ذكرها الدرجيني على تواصل نشاط المعتزلة بعد مجيء الدولة الفاطمية، وبخاصة على عهد أبي تميم المعز، الذي كان يجمع علماء الفرق ليتناظروا حوله في العلوم، وقد أشار الدرجيني الى مناظرة حصلت بين عالم الإباضية أبي نوح سعيد بن

[1] الخشني، المصدر السابق، ص 278.

[2] يراجع: أحمد بن يوسف حوالة، المرجع السابق، ج2، ص 09، 15.

زنغيل[1]، وعالم معتزلي في مجلس المعز، حول أسماء الله تعالى، قال أبو نوح: "واستحضرني يوما آخر –أي المعز- فوجدت رجلا معتزليا يتكلم في أسماء الله تعالى، فأوع يته سمعي الى أن عثر عثرة فلم أسمح باقالته، وذلك أنه قال أسماء الله متغايرة كزيد وعمر"[2]، وقد أسفرت هذه المناظرة عن تفوق العالم الاباضي حتى أن المعتزلي لم يجد جوابا وردا عن كلام أبي نوح، فعجز وانقطعت حجته[3].

غير أن هذا التواصل والنشاط كان قليلا جدا، فبعد هذه الفترة لم نعد نرى في تراجم العلماء والفقهاء المالكية أي اشارات لصراعات مذهبية مع المعتزلة، بل عدمنا أي ذكر للمعتزلة في عصرهم، وهكذا اختفت المسائل التي كان يثور الخلاف حولها، كقضية خلق القرآن، والأسماء والصفات، والجبر والاختيار، لتحل محلها قضيا خلاف مذهبي آخر بين المالكية والشيعة[4]، كما سنشير في الفصل الرابع.

ب. والآراء الفكرية للمعتزلة بالمغرب الأوسط:

من المرجح أن انتشار مذهب الاعتزال بالمغرب الأوسط كان بالموازات مع انتشاره بالمغرب الأدنى والأقصى، ونحن لا نملك من الأدلة على ذلك إلا بعض الإشارات التي تدل على وجود المعتزلة في العهد الأول من الدولة الرستمية، وقد انتشر هذا المذهب بين قبائل زناتة[5]، ويبدوا أن اتشاره بينهم كان واسعا، وأشار البكري الى أن مجمعهم كان قريبا من تاهرت، وكانوا تحت حكم ميمون بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رستم بقوله: "وكان صاحب تاهرت ميمون بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رستم بن بهرام... وكان ميمون رأس الإباضية وإمامهم وإمام الصفرية والواصلية، وكان يسلم عليه بالخلافة، وكان مجمع

[1] ذكره الدرجيني في أول طبقة القرن الثامن (350-400هـ/961-1009م)، كان في لعلم دجا ثاقب، وهو في الأوصافي الحميدة نهاية، ذكر له الدرجيني مناظرات عديدة في مجلس أبي تميم المعز، فكان مقدما عنده، فحسنت حالته، وزادت مكانته، لما جمع من علم وفصاحة وبراعة ومعرفة بفنون الرد على المخالفين. الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 136. ج2، ص 353.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص 136.

[3] المصدر نفسه، ص 136.

[4] يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ج2، ص 22.

[5] يذكر أبو زكريا يحي بن أبي بكر أن الواصلية قوم من البربر أكثرهم من زناتة. أبو زكريا يحي بن أبي بكر ، المصدر السابق، ص 67. الدرجيني، المصدر السابق، ص 57.

الواصلية قريبا من تاهرت، وكان عددهم نحو ثلاثين ألفا، في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها"[1].

ويعتبر الصراع الذي دار بينهم وبين الإمام عبد الوهاب أول ظهور لهم على مسرح الأحداث في المغرب الأوسط، فلما تمكن الامام عبد الوهاب من النكارية، تحركت عليه الواصلية، وذلك حينما أحسوا بالفرقة والضعف في أوساط الإباضية، الناتج عن عن الحرب مع النكارية، فأرادوا أن ينتهزوا الفرصة، لتأسيس كيان مستقل عن الإمامة الرستمية، ويشير أبو زكريا في هذا الصدد أن الإمام عبد الوهاب "أنذرهم مرات عديدة"[2]، وهو ما يثبت قدم صلتهم بالمنطقة قبل هذا التاريخ.

ويبدو أن الواصلية كانت على وفاق مع المؤسس الأول للدولة الرستمية عبد الرحمن بن رستم، ويمكن أن نبرر هذا التوافق أن كلتا الفرقتين الاعتزالية والإباضية تلتقيان في كثير من المسائل العقيدية كمسألة الإمامة، فهما تريان أن الإمامة حق لكل مسلم، لذا فإنه لا يجوز حصرها في قريش، كما أنهما تجيزان إمامة الفضول[3]، والخروج على الإمام الجائر، وكلتاهما تقولان بالعدل، والوعد والوعيد والخلود[4]، وعدم الشفاعة لأهل النار، وأن المغفرة تكون لمن تاب قبل الموت، وتتفقان على أن الصلاة تجوز خلف البار والفاجر، ولهما توافق كبير في مسألة التوحيد، كما أنهما تذهبان نفس المذهب باعتمادهما على الكتاب والسنة والإجماع والعقل، وغيرها من المسائل. وجل هذه المسائل أخذها الإباضية عن المعتزلة[5].

غير أننا نجد بعد هذه المرحلة توتر بين الفرقتين وذلك بعد إنتقال الإمامة الى عبد الوهاب، ويمكن أن نرجع هذا التوتر في سببين:

[1] البكري، المصدر السابق، ص 66.
[2] أبو زكريا يحي بن أبي بكر، المصدر السابق، ص 67. الدرجيني، المصدر السابق، ص 57.
[3] عبد اللطيف الحفظي، المرجع السابق، ص 332.
[4] المرجع نفسه، ص 331.
[5] يراجع: المرجع نفسه، ص 332، وما بعدها.

الأول: غضب المعتزلة بعد مقتل يزيد بن فندين اليفرني زعيم النكارية، وقبيلة يفرن كما هو معروف فرع من زناتة، التي ينتمي إليها أغلب واصلية بلاد المغرب، ويؤكد ذلك انضمام فلول النكار بعد مقتل زعيمهم لهؤلاء الواصلية، وخاصة الرابضين منهم في شمال تاهرت[1].

الثاني: رأي الواصلية والنكارية، أن عمل عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم خروج صارخ على مبدئهم في الإمامة. ولذلك اشتعلت الحرب بين يزيد وبين عبد الوهاب، وهو الأمر الذي حركهم بعد أن أحسوا ببعض الفرقة، وأرادو بذلك أن ينتهزوا الفرصة"[2].

ورغم الأفق العلمي الواسع للإمام عبد الوهاب، إلاَّ أنه لم يقوى على مناظرة المعتزلة، الذين كان فيهم رجل مجيد لعلم الكلام والحجة، فقال عنه أبو زكرياء "وفيهم رجل منتحل للمناظرة يذب عن مذهبه، وقد جرت بينه وبين الإمام مناظرات كثيرة، وكان شديد المعارضة، حديد العارضة"[3]. الأمر الذي جعله يستنجد بأهل نفوسة، يستمدهم أن يبعثوا إليه بجيش نجيب، يكون فيه رجل ذو علم بفنون الرد على المخالفيين، ورجل عالم بفنون التفسير، ورجل شجاع بطل نَجْدٌ، يبارز الفتى المعتزلي[4].

وقد بعث له أهل نفوسة ثلاثة من خيرة رجالهم وهم: مهدي الويغوي النفوسي[5] والذي تكفل بالمناظرة والجدل، وأبو الحسن الأبدلاني[6] بالفقه، ومحمد بن يانس بالتفسير[1].

[1] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 120.

[2] أبو زكريا، المصدر السابق، ص 67.

[3] أبو زكريا، المصدر السابق، ص 67.

[4] الفتى المعتزلي هو ابن سيد واصلية تاهرت، وهو فتى حدث السن، شجاع عظيم، بطل لا يبارزه أحد إلا قتله. ينظر: المصدر نفسه، ص 67. الدرجيني، المصدر السابق، ص 57.

[5] من أبرز علماء المذهب الاباضي في جبل نفوسة، برع في المناظرة، وانتدب لمناظرة المعتزلة في تاهرت، لما قصر الامام عبد الوهاب في مناظرتهم، وكان مهدي رجلا ورعا زاهدا في الدنيا طالبا للآخرة، توفي في حصار الامام عبد الوهاب لمدينة طرابلس سنة 196هـ/811م. أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 67. الدرجيني، المصدر السابق، ص 64، مجموعة من الباحثين، معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، ص 892.

[6] من أعلام جبل نفوسة، تلقى العلم عن عاصم السدراتي، له دراية بعلم التفسير، وعلم الكلام والمناظرة، أوفدته نفوسة الى تاهرت للرد على الواصلية، كان من الذين حاربوا مع جيش العباس ابن أيوب، ضد خلف بن السمح صاحب الفرقة الخلفية المنشقة عن الإمامة الرستمية. المرجع نفسه، ج2، ص 245، 246.

أما أيوب بن العباس[2] فهو الفارس المكلف بمبارزة الفتى الواصلي[3]. ولما وصل الوفد أمر بإنزاله في دار الضيافة ليستريح من عناء السفر، وبعد أن أخذ قسطا من الراحة اجتمع بهم وأخبروه بوظائفهم، وبمهمة كل واحد منهم، ووعدوه بالوفاء فاكتسبوا ثقة الإمام.

وقد عرض الإمام على مهدي النفوسي ما جرى بينه وبين الفتى الواصلي من محاورات، ليكون على بينة وبصيرة بمناظره؛ وكان مهدي "كلما رأى زيغا في كلام المعتزلي قال: ها هنا ذهب لك بالحجة وحاد عن المحجة". وكان من الصواب أن تجيبه يا أمير المؤمنين: بكذا وكذا"[4]. وبذلك أطلع مهدي الإمام على جميع الأخطاء التي وقع فيها المعتزلي ولم ينتبه إليها، فعرف مهدي أسلوب المعتزلي المنتحل للمناظرة، وكيف كان يحيد عن الجواب. وهنا أيقن الإمام بأن مهديا سينال من المعتزلي[5].

ولما كان موعد اللقاء والمناظرة، تقابل مهدي النفوسي مع مناظره الواصلي، فجرت بينهما مجادلة في مسائل، علم الناس في بدايتها ما يقولان، فلم يفلح أحدهما على الآخر، ثم إنهما دخلا في فنون من العلم لم يفقها أحد من الناس، سوى الإمام عبد الوهاب، ثم تعمقت المناظرة، حتى صار لا يفهمها إلا المتناظران، وفيها استسلم المعتزلي وفشل في المناظرة، فكبر أصحاب المهدي، وبذلك انتصر الإباضية على الواصلية[6].

والواضح أن الإباضية لم تقوى على رد الواصلية، التي ولا شك أنها كانت ذات نفوذ في أوساط العامة، بحيث أضحت تهدد الوجود الإباضي، أو على الأقل تنافسه، وهو الأمر

---

[1] من أعلام جبل نفوسة، كان ممن توجهوا الى تاهرت لمواجهة الواصلية بها، اشتهر بمعرفته العميقة لمعاني القرآن الكريم، كان دأبه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 297. مجموعة من الباحثين، معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، ص 828، 829.

[2] من أعلام جبل نفوسة، كان حي سنة 204هـ/ 819م، تلقى العلم عن عاصم الدراتي، كان بالإضافة الى مقامه في العلم مبرَّزا في الشجاعة وفنون الحرب، كان من الذين قدموا على الامام عبد الوهاب لمحاربة الواصلية، فقام بمبارزة الفتى الواصلي، بعد أن أذعن المعتزلة عن الحجة العلمية، ولاه الامام عبد الوهاب على جبل نفوسة بعد وفاة السمح بن أبي الخطاب. أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 71. مجموعة من الباحثين، معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، ص 130.

[3] أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 68. محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 129.

[4] أبو زكرياء، المصدر السابق، ص108؛ الشماخي، المصدر السابق، ص283. الباروني، المرجع السابق، ص121.

[5] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص59.

[6] أبو زكريا، المصدر السابق، ص 71. إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 337. سعد زغلول، المرجع السابق، ص 328. محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 130.

الذي فرض على الإمام أن يطلب المساعدة من جبل نفوسة، ولولا تضلع مهدي النفوسي في الجدل والكلام لراج مذهب الواصلية في كامل المغرب الأوسط، كما أثبتت المناظرة المستوى العالي للجدل الفكري بالمغرب الأوسط، سواء من قبل الإباضية أو المعتزلة، وبخاصة المتناظران، حيث لم يفهمهما أحد في آخر مراحل المناظرة.

ونحن لا نعرف بالتحديد تاريخ هذه المناظرة، التي جرت بين الواصلي ومهدي النفوسي، ولكن لا شك أنها كانت قبل سنة 196هـ، وهو تاريخ حصار الإمام لمدينة طرابلس، الذي شارك فيه العالم المناظر مهدي النفوسي، وفيه لقي مصرعه[1].

وهناك إشارات أخرى على تواصل نشاط المعتزلة في عهد أفلح بن عبد الوهاب، فقد ذكر ابن الصغير والبرادي أن المعتزلة والإباضية كانوا يجتمعون بنهر مينة[2] من أجل المناظرة، وكان في الاباضية رجل يرد على المعتزلة اسمه عبد الله بن اللمطي يرد ويذب عن المذهب، وهو الذي يناظر المعتزلة، وسائر الفرق بالمغرب، ولا يكاد يناظر"[3]. يقول ابن الصغير: "اجتمعت المعتزلة والاباضية بنهر مينة لموعد جعلوه فيما بينهم للمناظرة، وكان كثير من هوارة ممن حضر، ...ولما اجتمع القوم وضمهم المكان نادى رجل من المعتزلة يا عبد الله بكسر الدال، فأجابه رجل من القوم، فقال: لست أريدك، ثم نادى مرة ثانيا فأجابه رجل ثاني، فقال: لست أريدك، قال عبد الله، وقد علمت أنه إياي يريد، فكرهت أن أجيبه خوفا من سؤاله"[4].

والقصة التي أوردها ابن الصغير توضح مدى خوف الإباضية من أسئلة المعتزلة، ومن المرجح أن سبب هذا الخوف، هو أن الإباضية ليست على دراية كبيرة بعلم الجدل، وإن كانت المصادر ذكرت تفوق ابن اللمطي فيه، إلا أنه لا يعادل المستوى الذي وصله المعتزلي؛ فقد جرت بينه وبين زعيم المعتزلة مناظرة حول مسألة المكان، فقال المعتزلي:

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 81. إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 336.

[2] هو نهر يأتي مدينة تيهرت من جهة القبلة، له دور كبير في خضرة المدينة، وكثرة بساتينها وثمارها. البكري، المصدر السابق، ص 66، 67.

[3] البرادي، المصدر السابق، ورقة رقم 179.

[4] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 82.

"هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه الى مكان لست فيه؟ فقال: لا، ثم سأله: هل تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه الى مكان لست فيه؟ فقال: أذا شئت، فقال له المعتزلي: خرجت منها يا ابن اللمطي"[1].

ومن المؤكد أن مسألة خلق القرآن كانت من بين القضيا التي أثارها المعتزلة في المغرب الأوسط فقد ذكر البرادي نصا طويلا عن القرآن ورأي الإباضية فيه لأبي اليقظان محمد بن أفلح بن عبد الوهاب، ونحن لا نعلم السياق الذي ورد فيه هذا النص، فبعد أن انتهى البرادي من عرض ما جاء في رسالة الإمام الى أهل نفوسة، بدأ مباشرة في ذكر النص الذي سنقدم مقتطفا منه:

قال محمد بن أفلح بن عبد الوهاب: "اجتمعت الأمة على أن القرآن كلام الله، ولا يخلو هذا الكلام من أن يكون شيئا أو ليس بشيء يختلف فيه، فإن كان ليس بشيء، فأنى اختلف فيه المختلفون؟، وليس ثمَّ شيء يَختلف فيه مختلف، أو يتنازع فيه متنازع، ولو صح أنه ليس بشيء، لبطل أن تكون رسل الله جاءت بشيء، أو أن يكون الله عز وجل أنزل على أنبيائه شيئا، ولبطل أن يكون ثَمَّ توراة وأنجيل أو فرقان. فإذا ثبت كلام الله شيء، لم يخلو هذا الشيء من أحد ثلاثة أشياء: إما أن يكون هو الله، أو بعض الله، كالجزء من الكل، أو أن يكون غير الله، ليس ثَمَّ وجه رابع يذهب إليه ذاهب أو يقوله قائل، إلا من ركب اللجاج، وحاد عن طريق الحق"[2].

ثم يفصل في هذه المسألة ويرد على أصحاب المقالات، ويرمي من ذهب الى أن كلام الله هو الله، بأنه مثل اليعقوبية[3] من النصارى الذين ذهبوا الى أن عيسى عليه السلام هو الله، ويرد على القائلين أنه بعض الله، فيقول أن هذا القول يعني إلحاق التبعيض بالله،

[1] المصدر نفسه، ص 82. البرادي، المصدر السابق، ورقة رقم 180.

[2] البرادي، المصدر السابق، ورقة رقم 183. ذكر نص مشابه نقله عمار طالبي في كتابه آراء الخوارج الكلامية الموجز لأبي عمار عبد الكافي الاباضي، وذلك في فصل النقض على من زعم أن القرآن غير مخلوق. عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية الموجز لأبي عمار عبد الكافي الاباضي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ج2، ص 132، 133.

[3] اليعقوبية: فرقة من فرق النصارى، تقول أن المسيح هو الله، وزعموا أن المسيح جوهر واحد، إلا نه من جوهرين، جوهر الإله القديم، والإنسان المحدث، فصارا جوهرا واحدا. الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص 249.

وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وأما الوجه الثالث فقال بأن هذا الكلام يجرهم على أن مع الله إله آخر، وهو قول مردود[1].

وأما عن المسائل الكلامية التي خاض فيها المعتزلة، فإننا لا نجد من خلال تتبعنا للمصادر التي تحدثت عن المناظرات والصراعات التي جرت بين الإباضية والمعتزلة، أي مسألة من مسائل الخلاف، التي قامت عليها هذه المناظرات، باستثناء مسألة الإمامة، التي نعتقد أنها جوهر الصراع بين الواصلية والإمام عبد الوهاب، لخروجه عن مبدأ الشورى في اختيار الإمام، ومسألتي المكان، والقرآن[2].

وقد ذهب الباحث بكري شيخ فيما خمنه أن مواضيع هذه المناظرات من المرجح أن تكون حول صفات الله، والحياة الأخرى، ولا يستبعد أن تكون مسألتا الخلود في النار وشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم من المواضيع التي كان محور الجدل، باعتبار أن الإباضية تنفرد بالقول أن من دخل النار يخلد فيها وإن كان موحدا.[3]

والملاحظ أنه على الرغم من الدور المعادي الذي قام به المعتزلة في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، إلا أنهم حظوا بتسامح مذهبي الى أبعد الحدود، وما يبرهن على هذا التسامح تلك المناظرات التي كانت تعقد في أحواز تاهرت، لذلك فإنه لا غرابة أن يطلق على مدينة تاهرت أسم "عراق المغرب"[4] لما كانت تحويه من تنوع مذهبي، وسببه أن الرستميين فتحوا المجال أمام حرية الفكر، فلم يضايقوا أحدا، ولم يطردوا مخالفا. ودام هدوء الواصلية إلى غاية سقوط تاهرت سنة 296هـ /909م.

ج. الآراء الفكرية للمعتزلة بالمغرب الأقصى:

[1] البرادي، المصدر السابق، الورقة رقم 184.

[2] يراجع مثلا: حول مسألة المكان: ابن الصغير، المصدر السابق، ص 82. حول مسألة القرآن: البرادي، المصدر السابق، الورقة رقم 184.

[3] BEKRI Chikh, Le Kharijisme berbére, Revue d'histoireet de civilisation du maghreb, Faculté des lettre d'Alger, 1969, P 91.

[4] أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي، البلدان، دار نجف، ط3، 1977م، ص 104.

أشرنا فيما سبق أن عبد الله بن الحارث مبعوث واصل بن عطاء كان أول من دخل بلاد المغرب لنشر المذهب الاعتزالي، قال البلخي "وَفَرَّقَ رُسله في الأفاق يدعون الى دين الله، فأنفذ الى المغرب عبد الله بن الحارث، فأجابه الخلق، وهنالك بلد تدعى البيضاء يقال أن فيها مائة ألف يحملون السلاح يعرف أهلها بالواصلية"[1].

وانتشر مذهب المعتزلة بين قبائل أوربة وزناتة ومزاتة، كما وجدت تجمعات واصلية في درعة والسوس الأقصى، وشرق ملوية، ووجبال فزاز[2]، وانتشروا كذلك في شمال المغرب الأقصى في "وليلي" التي تبعد مسيرة يوم واحد عن فاس، وكون أتباعه تجمعا كبيرا تزعمه اسحق بن محمد بن محمد بن عبد الحميد الأوربي المعتزلي. فإلى هذه المدينة التجأ إدريس بن عبد الله في ربيع سنة 172هـ /787م[3]، ولقي كرم الضيافة حيث استضافه اسحق، وأنزله في داره، وتولى هو شخصيا خدمته، والقيام بشؤونه عدة أشهر. ثم جمع أخوته وأعيان قبيلة أوربة وعرفهم بنسب إدريس وقرابته من النبي -صلى الله عليه وسلم-، فرحبوا به وبايعوه[4] "بأوليلي" في يوم الجمعة 14 من شهر رمضان سنة 172هـ (787م)[5]، وقد أشار الشهرستاني الى هذه الطائفة بقوله: "وبالمغرب الآن منهم شرذمة قليلة في بلد إدريس بن عبد الله الحسني الذي خرج بالمغرب في أيام أبي جعفر المنصور"[6].

واستقبال عبد الحميد المعتزلي يدل على أن الوجود الاعتزالي في المغرب الأقصى سابق لوجود دولة إدريس بن عبد الله. بالإضافة الى أن المعتزلة يعتبرون عبد الله إدريس

[1] البلخي، المصدر السابق، ص 66، 67.

[2] ابن حوقل ، المصدر السابق، ص 94. محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 45.

[3] أحمد بن علي البلوي، أنساب الشرفاء الأدارسة، مخطوط مكتبة جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، تحت رقم: 7227، الورقة: 6، 7.

[4] المصدر نفسه، ورقة رقم 05.

[5] أبو عبد الله التنسي، تاريخ دولة الأدارسة مقتبس من كتاب نظم الدرر والعقيان، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص34، 35؛ البكري، المصدر السابق، ص118. إسماعيل العربي، دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص63، 64.

[6] الشهرستاني، المصدر السابق، ص 59.

الأكبر من رجال الطبقة الثالثة من طبقاتهم[1]، وهو ما جعل الأوربيين يحتضنون إدريس على الأرجح.

ولا شك أن النشاط التجاري كان له دور ملحوظ في نشر المذهب؛ مِن خلال المناطِق التي تركَّزوا فيها، والتي تميَّزت بموقع هام، وذلك بوقوعها على خطوط التجارة الرئيسية ببلاد المغرب، فاتَّخذ المُعتزلة مِن العمل بالتجارة وسيلةً لنشر مذهبِهم، وهذا ما مكنهم مِن استمالة عدد مِن القبائل لاعتناق مذهبهم، فكانت البيئة التجاريَّة أكثر استِجابة لهذا الفِكر الذي جعل العقل في أعلى مرتبة[2]؛ لذلك لم تَقتصِر التجارة على تبادُل السلع فحسب، بل كانت وسيلةً لنقل الأفكار والثقافات، خاصَّةً وأن النشاط الاقتصاديَّ كان بِيَدِ التجار الكبار مِن مُختلَف المِلَل، فمِن خلال القوافل التجارية التي انتشَرت في الصحراء تحقَّقت وحدة في التفكير لم تتحقَّق عن طريق السياسة.

وقد ذهب الباحث محمد إسماعيل أن الدعوتين الزيدية والاعتزالية كانتا على اتفاق مسبق في تأسيس كيان سياسي، قائم على عصبية أوربة المعتزلية، وقد برر هذا التوافق أن الدعوتين كان لهما اندماج في المشرق فكريا وسياسيا وعسكريا، وقد أشار الى هذا التوافق أصحاب المقالات، فالشهرستاني يقول في زيد: "فتلمذ في الأصول لواصل بن عطاء ... فقتبس منه الاعتزال، وصارت أصحابه كلهم معتزلة"[3]، غير أن هذا المشروع السياسي فشل نظرا لقوة الدولة العباسية، التي استطاعت القضاء على نشاطهم في موقعة فخ السالفة الذكر، وهو ما يفسر قدومهما المشترك الى بلاد المغرب عامة، والمغرب الأقصى على وجه الخصوص في أعداد غفيرة[4].

ولعلنا نلاحظ في هذا الصدد أن التشيع الزيدي جرى احتواؤه فكريا من قبل الاعتزال، أما سياسيا فقد خضعت أوربة لحكم إدريس ولبنيه من بعده، وقد أشار في هذا

[1] ابن المرتضي، المصدر السابق، ص 17.
[2] محمد عمارة، الخلافة ونشأة الأحزاب، دار الهلال، مصر، 1983م، ص 229.
[3] الشهرستاني، المصدر السابق، ص 172.
[4] محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص 50، 51.

الصدد ابن أبي زرع الى موافقة إدريس لمذهب إسحاق، وموافقة إسحاق لسياسة إدريس بقوله: "فنزل بها إدريس على صاحبها عبد الحميد الأوربي المعتزلي، فأقبل عليه عبد الحميد وأكرمه وبالغ في بره، فأظهر له إدريس أمره، وعرفه بنفسه فوافقه في حاله"[1].

ويبدو أن موافقة إدريس للاعتزال أو قبوله به، إنما كان وفاء لاحتضان قبيلة أوربة له، التي مثلت عصبية دولته، ولعل هذا التوافق يعبر أيضا عن بداية الازدواجية الفكرية بين المعتزلة والزيدية في المغرب الأقصى[2].

فالفكر الاعتزالي يشترك مع الفكر الزيدي في مسائل كثيرة، كاتوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، كما أنهما يتقربان في مسألة مرتكب الكبيرة، فالمعتزلة يرون بأنه في منزلة بين المنزلتين، والزيدية يسمونه فاسقا[3]، بالإضافة الى مسائل أخرى تقررت بالاحتكاك المتواصل بينهما في المشرق الإسلامي.

والمصادر[4] التي بين أيدنا لا تطلعنا على أهم الآراء الفكرية التي خاض فيها الواصلية في المغرب الأقصى، ويمكن القول أن مسألة الإمامة هي أيضا من أهم المسائل التي خاضوا فيها، فقد كان لهم دور في تأليب واصلية المغرب الأوسط على الإمام عبد الوهاب، بهدف الاستقلال بالأماكن التي يعشون فيها، بعد أن خرج على القاعدة المشهورة في اختيار الإمام، وكانت هناك اتصالات ومكاتبات تمت بين واصلية تاهرت وبين إسحق

[1] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص 06. ينظر كذلك: ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 190، 191. محمود اسمعيل، المرجع السابق، ص 53.

[2] عامر حميد السمرائي، المرجع السابق، ص 115.

[3] عبد اللطيف الحفظي، المرجع السابق، ص 418.

[4] المصادر فقط تذكر قدوم ادريس الاول على عبد الحميد الاوربي ومبايعته له، كما ذكرت مكان تواجد هؤلاء المعتزلة كقول الشهرستاني: "وبالمغرب الآن منهم شرذمة قليلة في بلد إدريس بن عبد الله الحسني، الذي خرج بالمغرب في أيام أبي جعفر المنصور"، دون الحديث والاشارة عن القضايا التي روجها المعتزلة في المغرب الأقصى. الشهرستاني، المصدر السابق، ص 59. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص 06.

الأوربي. وكان هذا الأخير يهدف إلى إثارتهم على أئمتهم الرستميين، لنقل نفوذهم إلى الدولة الإدريسية[1].

ثانيا: أعلام الفكر عند المعتزلة في بلاد المغرب:

تطلعنا كتب الطبقات والتراجم على عدد لا بأس به من مشاهير المعتزلة في إفريقية، وبخاصة عند تعرضها لمحن أهل السنة مع بعض منتحلي المذهب الاعتزالي، أو في سياق عرض المناظرات التي كان يُجريها أهل السنة مع باقي الفرق، ومن بين المصادر نجد كتاب "قضاة قرطبة وعلماء إفريقية" لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن الحارث بن أسد الخشني (تـ 361هـ/ 971م)، والذي أورد بابا من أسماء أهل المناظرة والجدل من طبقة العراقيين، ومن هؤلاء عدد كبير انتحل مذهب المعتزلة، وجادل عنه في إفريقية، بالإضافة الى أنه أورد فصلا آخر عن قضاة القيروان، الذين كان لبعضهم دور كبير في تدعيم أراء المعتزلة بقوة السلطة.

ويضاف الى كتاب "قضاة قرطبة"، كتاب "طبقات علماء إفريقية"، لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم، الذي تحدث عن بعض من تأثر بآراء المعتزلة، في سياق عرضه

[1] عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 204، 205.

لمحن أهل السنة، بالإضافة الى كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأزدي الدباغ (تـ 696هـ/1296م)، وكتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض (تـ 544هـ/ 1159م)، اللذان تحدثا عن بعض المعتزلة، ممن كانت لهم آراء حول مسألة القرآن، والتوحيد وغيرها.

ومن رموز الاعتزال في إفريقية، ومن رجالها المشهورين **سليمان بن أبي حفص المعروف بالفراء (تـ 269هـ/882م)**، عده كل من ترجم له أنه من طبقة أهل الجدل والمناظرة من طبقة العراقيين، قال عنه أبو العرب "كان يقول بخلق القرآن، وكان من أهل الجدل والمناظرة في ذلك، رحل ودخل بغداد، وله كلام في مشكل القرآن، وكتاب ألفه فيه، وسمعت من يذكر أنه سلخه من كتاب مشكل القرآن لقطرب النحوي، وله كتاب في أعلام النبوة، وله كتب في مذهبه في خلق القرآن"[1]. وله مناظرة مشهور مع محمد بن سحنون حول مسألة حدوث الأسماء والصفات[2] ذكرناها من قبل؛ وقد أخذ الفراء عن بشر المريسي، وأبي هذيل العلاف، وشيوخ معتزلة آخريين، إلتقى بهم في رحلته الى العراق، وقد عرف كما سبق بغلوه في قول بخلق القرآن.

ومنهم **ابن أبي الجواد(ت234هـ/849م)**: وهو قاضي إفريقية قبل سحنون من سنة 216هـ الى سنة 232هـ[3]، والذي كان سببا في محنته، أيام الأمير الأغلبي زيادة الله بن الأغلب (201-223هـ/817-838م)، لأنّه رجع عن الصلاة خلف قاضيه المعتزلي عبد الله بن أبي الجواد، كما أنه هو من امتحنه في خلق القرآن، وتشير المصادر أن الإمام سحنون قال للأمير محمد بن الأغلب لما عزل ابن أبي الجواد: "أيها الأمير أحسن الله جزاءك؛ فقد عزلت فرعون هذه الأمة، وجبارها وظالمها" وابن أبي الجواد حاضر ولحيته تضرب على صدره"[4]، ولا شك أن قول سحنون هذا فيه من الدلالة على أن ابن أبي الجواد، كان قاصيا

[1] أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، المصدر السابق، 219. الخشني، المصدر السابق، ص 286.
[2] أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، المصدر السابق، ص 198.
[3] ابن عذاري، المصدر السابق، ص 109.
[4] المصدر نفسه، ص 109.

على كل مخالف لا يرى مذهبه، ففرض فكره بالقوة، وأول من توجه إليهم علماء القيروان من أهل السنة، كما بينا من قبل.

لكن دارت عليه المحنة بعد أن تولى سحنون القضاء سنة 133هـ[1]، وذلك أن ابن أبي الجواد خاصم رجلا بين يدي سحنون، فحكم له على ابن أبي الجواد، وحبسه، وقال: "إن لم تأد ضربتك بالسوط"، فقال: "ما عندي مال"، فيقال: إنه أخرجه وضربه في جمعة مائة سوط، وقيل أكثر من ذلك، حتى أسال دمه على كعبه، وقيل كان سبب ضربه أنه شهد عليه بقبض وديعة فأنكرها، وقيل بل ضربه على بدعته[2]؛ وابن أبي الجواد هو صاحب الفضل في انشار المذهب الإعتزالي، فقد عمد بالقوة على إرهاب علماء السنة، حتى أن فترة قضائه راجت بالمناظرات التي كان يقيمها المعتزلة في مختلف مساجد إفريقية.

ومنهم **عبد الله بن الأشج**: قال الدباغ "كان عالما فاضلا ثقة، عارفا بطرق المناظرة، على طريقة أهل العراق، رحل الى المشرق، وأخذ عن محمد بن شجاع البلخي وغيره"[3]، وقال أبو العرب "سمعت من يذكر عنه أنه لما قدم من العراق، دخل عليه أحداث القيروان، فقال لهم، ما الذي يتكلم فيه أهل القيروان اليوم، فقيل له: "في الأسماء والصفات"، فقال "إنما تركت الناس بالعراق يتوافقون في مسألتين: مسألة القدر؛ ومسألة الوعد والوعيد"[4]، ويمكن القول أن عبد الله بن الأشج هو من روج ونقل مسألتي القدر والوعد والوعيد من العراق الى إفريقية.

[1] المصدر نفسه، ص 109.
[2] الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 88.
[3] الدباغ، المصدر السابق، ص 232.
[4] أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، المصدر السابق، ص 220.

وقد كانت له مناظرات مع ابن الحداد منها المناظرة التي جمعتهما في مجلس ابراهيم بن الأغلب (تـ 289هـ/ 901م) حول مسألة خلق القرآن، وهي مناظرة عميقة الأثر دلت على قدرة جدلية وعلمية كبيرة لابن الأشج، رغم تفوق ابن الحداد كما يذكر ذلك المالكي[1].

ومنهم أيضا **أبو إسحاق العمشاء** ذكره الخشني فقال: ومن رجالهم في الكلام: رجل يعرف بالعشماء: ويكنى بأبي إسحاق؛ وإنما عرف بالعمشاء: لأنه أعمش العينين، يذهب الى خلق القرآن، ويناظر في المناظرة الشديدة، وله في ذلك داعية ولمّة، وأصحاب و أحزاب في ذلك يجالسونه ويختلفون إليه"[2]، كما أنه يجيد علم الفرائض، وقد صحب من العلماء ابن عبدون العالم.

ومن رجالهم أيضا **محمد بن أسود الصديني**، تبوأ القضاء في عهد الدولة الأغلبية، فعسف وظلم، وكان يقول بخلق القرآن، كما أنه امتحن العديد من علماء السنة، وكان ممن امتحن علي يديه أبو جعفر القصري[3]، وأبو اسحاق بن البردون، غير أن مدته على القضاء لم تطل، فقد عزله زيادة الله بن العباس، وقوفا عند رغبة أهل القيروان[4].

ومن أكثر رجالهم تصرفا في الكلام والجدل **أبو الفضل بن ظفر**، كان يقول بخلق القرآن، ويناظر فيه أشد المناظرة، وتذكر المصادر أنه كان مجيدا لفنون الطب، غير أنه أنصرف عنه أنفة من أن ينسب إليه، كما أنه كان أديبا وشاعرا مرسلا، ابتلي في –في آخر أيامه- بمرض الجذام فاحتجب أعواما في بيته ثم مات[5].

وممن يوازي ابن ظفر في فضل نشر الاعتزال **محمد بن الكلاعي**، الذي كان هو الآخر من أهل المناظرة والجدل والمباينة في مسألة خلق القرآن، ولا يتخفى في قول ذلك

[1] حول المناظرة ينظر: المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 70.

[2] الخشني، المصدر السابق، ص 288.

[3] هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد التميمي، ويعرف بالقصري، وهو مولى الأمير الأغلب بن سالم، كان رجلا صالحا ثقة، توفي سنة 322هـ/933م، وله من التأليف كتاب تجديد الإيمان، وشرائع الإسلام، ذكر المالكي أنه توفي سنة 317هـ/929م، ودفن بباب سلم. المالكي، المصدر السابق، ص 197، 198، 200. الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 11.

[4] الخشني، المصدر السابق، ص 251، 252.

[5] المصدر نفسه، ص 288.

بل يتحدى، وله كتاب ألفه في الرد على الفقيه المالكي سعيد بن الحداد، يناقضه فيه على ما ألفه الذي يرد فيه على من يقول بخلق القرآن، وكان ممن رد على ابن الكلاعي الفقيه المالكي ابراهيم بن محمد الضبي، الذي أغلظ في الرد عليه، فبين خطأه الشنيع، وتقصيره الشديد بالحجة[1]، فكان ذلك سببا لحقده عليه، وسفك دمه بمعية ابن ظفر السالف الذكر، على عهد أبي عبد الله الشيعي[2].

ومنهم يحي بن يحي (تـ 315هـ/ 927م) المعروف بابن السمينة، وهو تلميذ خليل بن عبد الملك بن كليب، فقد كان من رجال المعتزلة المشهورين، بصيرا بالاحتجاج والكلام، يذهب مذاهب المتكلمين، وكان يقول بالاستطاعة، عن شيخه عبد الملك بن كليب[3]

ويضاف الى هؤلاء قائمة أخرى كان لها أيضا دور كبير في نشر مذهب الاعتزال في المغرب منهم **محمد المسيحي**، الذي كان من المقدمين في المناظرة والجدل في مسألة خلق القرآن، وكان المعتزلة من مريدي المذهب يقصدونه ويلوذون به[4]، **وابن ابي روح الملقب بالبغلة**، كان يقول بخلق القرآن ويجادل عنه، كما كان يتكلم في الأسماء والصفات[5].

وأما بالنسبة للمغرب الأوسط فالمصادر التاريخية لا تطلعنا عن أسماء علماء المعتزلة الذين تصدوا للمناظرة، بل تكتفي بذكر رجل واحد فقط مع إغفال اسمه، "وهو شاب حدث السن، شجاع لا يقوم له شيئ، وهو ابن أميرهم"[6] وهو كذلك "عالم غائر اللجة حائز قصبة السبق في ميادين المناظرة، ذو علوم جمة، ولسان طلق، ومنطق بليغ، وله في المجادلة أطوار وطرق، يعجز دونها فحول العلماء، قد أعجب بنفسه، فأضحى يزخرف للملأ مذهبه، ويزين حججه، ويطلب مناظرة كل من ينسب الى العلم، من علماء غيرهم من

[1] المصدر نفسه، ص 189. ابراهيم علي التهامي، ص 201، 202.
عبد المجيد بن حمده، المدارس، المرجع السابق، ص 168.
[2] الخشني، المصدر السابق، ص 281، 282.
[3] ابراهيم علي التهامي، المرجع السابق، ص 203.
[4] الخشني، المصدر السابق، ص 289.
[5] المصدر نفسه، ص 290.
[6] الدرجيني، المصدر السابق، ص 57.

الفرق"[1]، وكان هذا المعتزلي يتفوق في مواطن عديدة، قال عنه أبو زكريا "وفيهم رجل منتحل للمناظرة يذب عن مذهبه، وقد جرت بينه وبين الإمام مناظرات كثيرة، وكان شديد المعارضة، حديد العارضة"[2]. وقد كانت لهذا الرجل المعتزلي مناظرات شديدة مع الإمام أفلح، ومهدي النفوسي الذي استطاع في آخر المطاف أن يتفوق عليه كما أشرنا من قبل.

وأما المغرب الأقصى، فيبدو أن الإغفال أيضا نال رجال المذهب، وعليه فإننا لا نجد ذكرا لأي أحد من رجال المعتزلة، باستثناء زعيم قبيلة أوربة عبد الحميد الأوربي المعتزلي، الذي استقبل إدريس، وخدمه، ثم جمع أهله وعشيرته وأخذه له بالبيعة[3].

المذهب الإسماعيلي من الدعوة إلى الدولة.

تعريف الشيعة.

عرَّف العلماء الشيعة بتعريفات عدة، منها ما أورده الشهرستاني بقوله: "الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته، وخلافته نصا ووصية، إما جليا أو خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره".[4]

قال أبو الحسن الأشعري: " وإنما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا عليا رضوان الله عليه، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم"[5].

وقال أبو محمد بن حزم: "ومن وافق الشيعة في أن عليا أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحقه بالإمامة، وولده من بعده فهو شيعي"[6].

---

[1] سليمان الباروني، المرجع السابق، ص 154.

[2] أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 67.

[3] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 07، 08، ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 190.

[4] الشهرستاني، المصدر السابق، ص 163.

[5] أبو الحسن الأشعري، المصدر السابق، ص 65.

[6] ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد ابراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت، ط2، 1996م، ج2، ص 270

وأما ابن خلدون فيعرفهم بقوله: "اعلم أن الشيعة لغة هم الصحب والأتباع، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه رضي الله عنهم، ومذهبهم جميعا متفقين عليه أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، ويَتَعَيَّنُ القائم بها بتعينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام"[1].

وقد تطور مذهب الشيعة تطورا عظيما بعد موقعة صفين ومقتل علي رضي الله عنه، وقد صبغت مبادئهم في هذه المرحلة بصبغة دينية، وانضم إليهم خلال هذه المرحلة عدد كبير من العرب والموالي، وكان لمقتل الحسين بن علي في 10 محرم 61هـ (الموافق لـ 10 أكتوبر 680م) نتائج هامة على الشيعة، حتى أنه يمكن القول أن الشيعة بدأ ظهورها من هذا التاريخ[2].

في أواخر العصر الأموي ظهرت عدة فرق للشيعة نتيجة تطور مبادئهم السياسية والدينية، فقد توجهوا إلى الدعوة السرية، أو ما يسمى عندهم "بالتقية والكتمان"[3] نتيجة الاضطهاد الذي قابلهم به الخلفاء والولاة الأمويين، وقد أباح هذا المبدأ لهم إخفاء وكتمان عقيدتهم، إذا ما تعرضوا الى خطر من شأنه أن يعرقل مسار الدعوة، وبهذا أصبحت الشيعة أقدر الفرق الإسلامية على الدعوة السرية[4].

أولاً: دخول التشيع إلى بلاد المغرب:

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 246.
[2] علي حسن الخربوطلي، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1972م، ص 08.
[3] كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه، ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررا في الدنيا والدين، أو التحفظ عن ضرر الغير بموافقته في قول أو فعل مخالف للحق، وهي عندهم واجبة على الأتباع وجوبا مطلقا، كما أنهم يعدونها دين وشريعة، فتاركها وتارك الصلاة في نظرهم بمنزلة واحدة، واستعمالها صالح في كل الأوقات والأحوال، ومع جميع الخلق، فلا فرق عندهم في استعمالها بين مسلم وكافر، بل استعملوها حتى بين الفرق التابعة لهم. الصدوق بن بابويه القمي، الاعتقدات، تحقيق عصام عبد السيد، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، قم، ايران، ط1، 1992م، ص 107. محمد بن محمد بن نعمان البغدادي المفيد، تصحيح الاعتقاد بصواب الاعتقاد، تحقيق هبة الله الشهرستاني، دار الكتاب الاسلامي، بيروت، 1983م، ص 137. فلاح بن اسماعيل بن احمد، العلاقة بين التشيع والتصوف، أطروحة دكتوراه كلية الدعوة وأصول الدين الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1990م، ص 239.
[4] علي حسن الخربوطلي، المرجع السابق، ص 09.

لقد كانت بلاد المغرب من بين المناطق التي اهتم بها أئمّة أهل البيت بل كانت ضمن دائرة همومهم واهتمامهم بسبب الظروف الصعبة والقاسية التي كانوا يعيشونها والقيود والحصار المفروض عليهم من قبل أجهزة الحكم في المشرق الإسلامي، ولعل ما يأكد ذلك خطاب جعفر الصادق (تـ 145هـ/762م) لداعيتيه إلى بلاد المغرب قائلا: "إن المغرب أرض بور فاذهبا فاحرثاها حتى يجيء صاحب البذر"[1].

أ) الشيعة الزيدية وتطور مذهبهم في الدولة الإدريسية:

يعتبر الزيدية من أهم فرق الشيعة، "وهم أتباع زيد بن علي[2] بن أبي طالب رضي الله عنهم، ساقوا الامامة في في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة، أن يكون إماما واجب الطاعة"[3].

وعلى هذا فقد أفاد الزيدية من أخطاء التجارب العلوية السابقة، وجنحوا نحو الاعتدال والوضوح، خاصة بالنسبة لقضية الإمامة التي لا يجعلونها بالنص والتعين بل عن طريق عقد البيعة، كما أنهم يرون أن توليها لا يكون إلا للأفضل من ولد الحسن والحسين رضي الله عنهما[4]، وقد أشار ابن خلدون في المقدمة الى رأي الزيدية في الإمامة فقال: "وأما الزيدية فساقوا الإمامة على مذهبهم فيها وإنَّها باختيار أهل الحَلِّ والعقد لا بالنص، فقالوا بإمامة علي ثم ابنه الحسن، ثم أخيه الحسين، ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب"[5].

[1] تقي الدين محمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة، ط2، 1996م، ج1، ص 41.

[2] زيد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، نشأ في المدينة، وتقلب ما بين الكوفة والبصرة، تتلمذ في الأصول لواصل بن عطاء، فقتبس من الاعتزال، فصار كل أصحابه معتزلة، وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل. الشهرستاني، المصدر السابق، ص 172. ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 248.

[3] الشهرستاني، المصدر السابق، ص 172.

[4] الصاحب بن عباد، الزيدية، تحقيق ناجي حسن، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 1986م، ص 105. محمود اسماعيل، الأدارسة (182- 375هـ)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1991م، ص 22، 23.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 250.

وأول من وصل من دعاتهم عيسى بن عبد الله[1] الذي أنفذه محمد النفس الزكية[2]، "فأجابه بها خلق كثير من قبائل البربر"[3]، لكنه سرعان ما عاد الى بلاد المشرق، وقد أرسل محمد النفس الزكية أيضا أخاه سليمان، فنزل بتلمسان، بعد رحلة طويلة عبر مصر وبلاد النوبة، والسودان وبلاد الزاب، ويبدو أن الخوف من العباسيين كان وراء تحاشي سليمان الطريق الساحلي المباشر من برقة الى تلمسان، وفي تلمسان بدأ يدعو للحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بعد مقتل محمد النفس الزكية[4]، وقد أحرز سليمان خلال هذه المرحلة نجاحا ملحوظا قبل عودته الى المشرق للمشاركة في ثورة الحسين ضد العباسيين[5]، وقد عرفت هذه المعركة بموقعة فخّ[6]، في اليوم الثامن من ذي الحجة 169هـ/786م، انهزم فيها العلويين، واستشهد فيها عدد كبير من آل البيت وأشياعهم، وكان على رأس من استشهد الحسين بن علي بن الحسن بن الحسين[7].

كان لفشل هذه الثورة نتائج سلبية على العلويين في بلاد المشرق، لذلك اضطر إدريس بن عبد الله[8] الى الفرار من أيدي العباسيين، فاختار الطريق نحو المغرب لبعده عن مركز الخلافة[9]، وقد استطاع بمساعدة مولاه راشد أن يجد مع حجاج إفريقية مركبا عبر به البحر الأحمر الى بلاد النوبة، ومن ثمة الى مصر، حيث تلقى مساعدة من الذين يعطفون

[1] عيسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين أخو محمد النفس الزكية، وكان هو من بعثه الى بلاد المغرب. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص 04.

[2] هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين كان يدعا بالنفس الزكية لنسكه وكثرة عبادته وورعه، خرج على أبو جعفر المنصور طالبا حقه في الخلافة، ودعا في الحجاز الى نفسه فأجابه خلق كثير، توفي في موقعة فخ المشهورة في ذي الحجة 169هـ/786م. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص 04. لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 189.

[3] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص 04.

[4] المصدر نفسه، ص 04.

[5] محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص 48.

[6] فخ : - بفتح أوّله وتشديد ثانيه - واد بمكة يبعد عنها بستة أميال قتل فيه الحسين بن علي بن الحسن العلوي سنة 169 هـ/ 786م، وقتل معه جماعة من أهل بيته. لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص 189.

[7] عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور الى اليوم، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1987م، مج 4، ص 08.

[8] هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى سنة 172هـ/ 788م، وكان أول من بايعه قبائل أوربة. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 07.

[9] سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي 172-223هـ/788- 835م، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1987م، ص 59.

على آل البيت، وقد مكنت هذه المساعدة من أخذ الطريق الى برقة ثم الى القيروان ثم الى تلمسان حتى وصل طنجة[1]، ثم نزل على رجل يدعى اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي وشيوخ وليلي[2]، من أحواز جبل زرهون، فأقام عنده شهرا، "وجمع له عبد الحميد قومه وإخوانه وقومه لما تعرف إليه وراقه فضله، وهديه وسمته، فعرفه بمحله من بنوة النبوءة، وأعلمهم بفضله وشرفه، فبايعوه على القيام بأمرهم، وولوه صلاتهم وأحكامهم"[3].

وانتهى الأمر بأن بايعوا لإدريس بالإمامة، وذلك في منتصف رمضان سنة 172هـ/789م، فكان ذلك بداية للدعوة العلوية الأولى في المغرب الأقصى، وقد تبع ذلك حركة دعاية بين قبائل الأقاليم المحيطة، فدخلت تحت دعوته قبائل كثيرة، كزناتة وزواغة وزواوة[4] ولماية[5] وسدراتة[6] ومسراتة[7] ونفزاوة[8] ومكناسة[9]، كما قصده الناس من كل مكان[10].

[1] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص 05. عبد الهادي التازي، المرجع السابق، مج 4، ص 09.

[2] مدينة وليلي قاعدة جبل زرهون، وكانت مدينة متوسطة خصبة كثيرة المياه والزيتون، وكان لها صور عظيم من بنيان الأوائل، تقع بين مدينة طنجة وفاس، على مسافة يوم واحد من فاس. البكري، المصدر السابق، ص 118. صالح بن عبد الحميد الإيلاني، مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، مؤسسة البلاغ، الجزائر، 2013م، ص 251.

[3] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 190.

[4] وهؤلاء البطون من البرابرة البتر، من ولد سمكان بن يحي بن ضري بن زحيك ابن مادغيس الأبتر، وأقرب ما يليهم من البرابر زناتة، لأن أباهم أجانا هو أخو سمكان وهم قبائل كثيرة مشهورة بنو مجسطة، وبنو مليكش وبنو كوفي ومشدالة، وموطنهم ومساكنهم مشهورة بشمال إفريقية، وجبلهم ما بين بجاية وتدلس وهو أعظم معاقلهم، وأمنع حصونهم. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 168، 169. أبو يعلى الزواوي، تاريخ زواوة، مراجعة سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، 2005م، ص 90.

[5] وهم بطن من ولد فاتن بن مصيب بن حرس، إخوة مطغرة، ولهم بطون كثيرة، وكانو ظواغن بإفريقية والمغرب، وكان جمهورهم بالمغرب الأوسط موطنين بسحومة مما يلي الصحراء، وكانو بأرض السارسو قبلة منداس وزواغة، وكانوا في ناحية الغرب عنهم. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 158.

[6] وهم من أكبر بطون لواتة، وأذيعها صيتا، وأكثرها تفرقا في بلاد البربر، ما بين جبال طرابلس والمحيط الأطلسي. وهُم بنو سَدرَاتْ بن نيطَط بن لوا الأصغر. قال ابنُ خلدون: ومن لواتة: سدراتة بنو نيطط بن لوا الأصغر. ودخل نسب سدراتة في مغراوة. المصدر نفسه، ج6، ص 152، 153.

[7] وهم بنو ورفلة من بني اللهان بن ملك من بطون هوارة، وهم بآخر أعمال طرابلس. المصدر نفسه، ص 183.

[8] وهم بنو تطوفت بن نفزاو بن لوا الأكبر بن زحيك، من القبائل البترية، وبطونهم كثيرة مثل غساسة ومرنيسة، وزهيلة وسوماتة وولهاصة. المصدر نفسه، ج6، ص 150.

[9] هم قبائل من ورصطف بن يحي، أخو أجانا بن يحيا، وسمكان ين يحيا، ولمكناسة عدة بطون منها: صولات، وبوحاب وبنو ورفلاس وبنو وردنوس، كانت مواطنهم على وادي ملوية، من لدن أعلاه سجلماسة الى مصبه في البحر، وما بين ذلك من نواحي تازا وتسول. المصدر نفسه، ص 180.

[10] ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص20. أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ج1، ص 20. السلاوي، الاستقصا،

وبعد أن بايعته هذه الجموع الغفيرة انطلق في الغزو، ومحاربة البدع الخارجية، فجند جيشا من البربر، وخرج غازيا البلاد، ففتح أولا مدينة شالة[1]، ثم أتبعها بسائر البلاد وحصونها، ثم سار الى بلاد تادلا[2]، وبعد أن أتم معركتة الأولى بنجاح عاد الى قاعدته وليلي، كما قام الى تلمسان بالمغرب الأوسط، فأخضعها والقبائل التي بها[3].

والملاحظ على السياسية التي اتبعها إدريس الأول في اقامته للدولة الإدريسية أنه اعتمد على الفكر الشيعي الزيدي الاعتزالي[4]، وعلى عصبية من البربر هي قبيلة أوربة، التي تبنت المذهب الاعتزالي، والتي كانت النواة الأولى لإقامة دولة بالمغرب الأقصى[5].

وقد استدل الباحثون على زيدية الدولة الإدريسية في مهدها الأول بأن إدريس لما قدم الى بلاد المغرب حمل معه مبادئ الشيعة الزيدية، بعد فراره من المشرق، بسبب ما حدث في موقعة فخ (169هـ/ 786م) السالفة الذكر، ومسير إدريس الى المغرب كان تكملة للجهود التي قام بها دعاة الزيدية الذين كانوا قبله، كعيسى بن عبد الله الذي أنفذه محمد النفس الزكية، وسليمان أخو محمد (أخو محمد النفس الزكية)[6].

بالاضافة الى هذا الدليل فهناك اشارة أخرى أوردها البكري وهي أن هارون الرشيد قام بإرسال رجل من الشيعة الزيدية ليقتل إدريس، حينما علم ما حققه إدريس من النجاحات على أرض المغرب[7]، وفي غزو بعض القبائل البربرية، وفتح تلمسان، فأحس الخليفة

المرجع السابق، ج1، ص155، سعد زغلول، المرجع السابق، ص 430. ليفي بروفنسال، نخب تأريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى، مطبوعات لاروز، باريس، 1948م، ص 18.

[1] مدينة عتيقة تقع على نهر أبي رقراق غير بعيدة عن مصبه في المحيط، ولما فتح عقبة بن نافع المغرب سنة 62هـ أسلم أهلها على يديه، ثم ارتدو بعد قتله في تهودة، ثم أسلموا مرة ثانية على يد موسى بن نصير، ثم افتتحها الامام إدريس وتداول ملكها بنوه من بعده، الى أن انتزعها منهم موسى بن أبي العافية سنة 317هـ. علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1991م، ص 13.

[2] اسم إقليم شهير بوسط المغرب، قاعدته قصبة تادلا الواقعة على وادي ام الربيع جنوبي خنيفرة، وشمالي بني ملال، لعب دورا كبيرا في تاريخ المغرب، إذبه كانت تمر الطريق بين فاس ومراكش. علي الجزنائي، المرجع السابق، ص 13.

[3] سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 75.

[4] محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص 100. سلمى محمود اسماعيل، الصراع الإثني والمذهبي في المغرب الأقصى في ضوء نظريات ابن خلدون، دار الرؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م، ص 133.

[5] محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص 100.

[6] المرجع نفسه، ص 47، 48.

[7] البكري، المصدر السابق، ص 120.

هارون بالخطر الذي سيواجهه إذاما تابع إدريس زحفه نحو إفريقية؛ فاستشار وزيره يحي بن خالد البرمكي[1] فقال: إن الرجل" فتح تلمسان وهي باب إفريقية، ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار، وقد عزمت أن أبعث إليه جيشا عظيما لقتاله، ثم إني فكرت في بعد البلاد وطول المسافة... فرجعت عن ذلك"[2]، فنصحه الوزير بأن يرسل له رجلا من الموالي، وممن يكون على مذهب إدريس فأرسل له رجلا يسمى سليمان بن حريز الشماخ[3] وكان إدريس يعلم بمكانته ورياسته عند الزيدية، فلما وصل إليه قال ":إنّما جئتك وحملت نفسي على ما حملته عليه لمذهبي الذي تعرفني به"[4]، فتقرب إلى إدريس حتى أمنه، ثم دس له السم وهرب إلى المشرق فتوفي إدريس متأثرا بالسم سنة 175 هـ / 792 م بوليلى[5].

وثقة إدريس بسليمان بن حريز إنما كانت ثقة في المذهب الذي يجمعهما، وهو المذهب الزيدي، حتى صار مقربا له في كل مجالسه، بالإضافة الى ذلك فإن إدريس أعجب بفصاحة سليمان وورعه وأدبه، قال ابن أبي زرع: "فأنس به إدريس، وسكن الى قوله، وسربه سرورا عظيما، وركن إليه، وحل من قلبه بمنزلة رفيعة، فكان لا يأكل ولا يقعد إلا معه ... ولما ظهر له أيضا من سليمان بن حريز (جرير) من النبل والأدب والظرف والبلاغة"[6]، وقد أستغل سليمان الفرصة فأظهر علمه في مجالس الامام، وبخاصة في الحديث عن المواضيع التي تهم الامامة والولاء لآل البيت، وفي هذا الصدد يضيف ابن أبي

[1] يحي بن خالد ابن برمك الوزير الكبير، أبو علي الفارسي، من رجال الدهر حزما ورأيا وسياسة وعقلا، وحذقا بالتصرف، ضمه المهدي الى ابنه الرشيد ليربيه، فلما استخلف رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، مات في سجن الرقة سنة تسعين ومائة، وله سبعون سنة. شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج 09، ص 89.

[2] ابن ابي زرع، مخطوط الخبر عن ملوك المغرب من الأدارسة الحسنيين رضي الله عنهم وذكر قيامهم فيه وبنايهم مدينة فاس دار ملكهم وقرار سلطانهم، نسخة الكترونية لا تحتوي على معلومات (المكان، والرقم)، الورقة رقم 7، 8. تم تحميلها بتاريخ 2014/12/09م على الساعة 14:48، من موقع:
- http: //dl.ub.uni-friburg.de/diglit/hs303b/0001

[3] وصفه البكري بأنه رجل يثق به وبشجاعته، وهو من أعلام الزيدية، حتى أن أدريس الأول كان عالما به وبرياسته في الزيدية، وهو الذي جعل إدريس يثق به ويقربه منه. البكري، المصدر السابق، 120، 121. صالح الإيلاني، المصدر السابق، ص 251. سعيدة لوزري، المذهب المالكي في المغرب الأوسط دخوله وانتشاره 3- 5هـ /9- 11م، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2010م، ص 62.

[4] البكري، المصدر السابق، ص 120.

[5] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص 09.

[6] المصدر نفسه، ص 08، 09.

زرع: "فكان سليمان بن حريز إذا قعد الامام إدريس بين رؤساء البربر، ووجوه القبائل، يتكلم سليمان فيذكر فضائل أهل البيت، وعظم بركتهم، ويقيم الدليل على إمامة إدريس، وأنه الامام لا إمام غيره، ويأتي على ذلك بالحجج البينة، والبراهين القاطعة، وبأحاديث تعجب إدريس"[1]

ب) الشيعة الاسماعيلية وتأسيس الدولة الفاطمية:

1) مرحلة الدعوة:

ما انفك الصراع قائما بين أبناء علي بن أبي طالب –رضي الله عنه- وأحفاده وشيعتهم وبين خصومهم منذ أن قتل علي، وقد تعرض العلويون أثناء المطالبة بحق الإمامة الى القتل والتنكيل والمطاردة، ورغم ذلك لم يستسلموا، وقاموا بعدة محاولات إلى أن تمكنوا في النهاية من تكوين كيان سياسي في بلاد المغرب على الدعوة الإسماعيلية[2].

والإسماعيلية هم: "القائلون بإمامة اسماعيل بن جعفر الصادق"[3] أو هم الذين أثبتوا الإمامة لإسماعيل بن جعفر[4]، باتفاق من أولاده[5].

وقال البغدادي: "وهؤلاء ساقوا الإمامة إلى جعفر، وزعموا أن الإمامة بعده لإبنه إسماعيل"[1].

[1] المصدر نفسه، ص 09.
[2] مرمول محمد الصالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص 27.
[3] محسن الامين، موسوعة أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، د ت، ج1، ص 316.
[4] وكذبهم في هذه المقالة جمع من أصحاب التواريخ منهم ابن الأثير الذي أورد محضرا يتضمن قدحا لنسبهم، "وكتب فيه جماعة من العلويين وغيرهم أن نسبهم الى أمير المؤمنين غير صحيح، فمن كتب فيه من العلوين المرتضى، وأخوه الرّضي، وابن البطحاوي، وابن الأزرق، ومن غيرهم ابن الأكفاني، وابن الخرزي، وأبو العباس الأبيوردي، وأبو حامد، والكشفلي، والقدُّوري، والصيمري، وأبو الفضل النسوي، وأبو جعفر" لما صح عندهم من موت إسماعيل قبل ابنه جعفر، إلا أن الباطنية يقولون بأن موته كان تقية من خلفاء بني العباس. ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص 447، 348، 453. الشهرستاني، المصدر السابق، ص 185. البغدادي، المصدر السابق، ص 63. سعد بن موسة الموسى، موقف الامام الذهبي من الدولة العبيدية نسبا ومعتقدا، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2006م، ص 14، 15. عبد الحميد بن حمدة، المرجع السابق، ص 177.
[5] الشهرستاني، المصدر السابق، ص 185.

وعليه تكون الإسماعيلية إحدى فرق الشيعة الإمامية الغلاة[2]، وهي تنسب الى إسماعيل بن جعفر الصادق، ولهم ألقاب كثيرة عرفوا بها غير لقب الاسماعيلية، "وأشهر ألقابهم الباطنية، وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويل"[3]، "ومن مذهبهم أنه من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وكذالك من مات ولم يكن في عنقه بيعة إمام مات ميتة جاهلية"[4].

والفكر الاسماعيلي ينطلق من نظرته الى السلطة التي يقيمها على تصوره للإمامة، التي تكون بالنص والوصية والتوقيف وليس الاختيار أو الشورى، لإن الامامة مكملة عندهم للنبوة، التي مهمتها تبليغ الرسالة أو التنزيل، أما الامامة فهي فمهمتها تأويل هذا التنزيل، وحفظه من أجل استمراره[5].

ويعزى انتشار هذا المذهب في بلاد المغرب الى الدور الذي قام به صاحب دعوة اليمن أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب[6]، الذي أرسل رجلين من أنصاره هما أبو سفيان بن القاسم، وعبد الله بن علي بن أحمد الذي اشتهر بالحلواني[7].

فنزل أبو سفيان بتالة من مرماجنة[8] وأقام فيها، وابتنى مسجدا وتزوج واشترى عبدا وأمة، وقد أظهر هذا الداعية من العبادة والفضل ما قد اشتهر بذكره بين الناس، وأقبلوا عليه

---

[1] البغدادي، المصدر السابق، ص 62.

[2] اعتبرت الفرقة من الغلاة وذلك لما لها من أفكار متطرفة عن الفرق، كالتعرض لصحابة طعنا وتكفيرا، وقولهم بعصمة الإمام عصمة مطلقة، حيث لا يخدش عصمته شرب الخمر، وأن علمه مستمد من العلم الالهي، وله اختصاص تأويل النصوص وفهمها. الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص 181. عبد المجيد بن حمده، المرجع السابق، ص 189.

[3] الشهرستاني، المصدر السابق، ص 210.

[4] المصدر نفسه، ص 210.

[5] بوبة مجاني، دراسات اسماعيلية، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، 2003م، ص 86.

[6] أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زدَّان الكوفي، أصله من الكوفة من بيت علم وتشيع، ذكر النعمان أنه من أهل العلم، لقب بصاحب دعوة اليمن، لا يصدر الدعاة إلا بأمره لعلو منزلته. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص 03، 04.

[7] القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م، ص 02، 27.

[8] هي مدينة لطيفة في بساط مديد، كائنة في الطريق الآخذ من إفريقية الى تاهرت، وهي لهوارة، بها أسواق حسنة. ابن حوقل، المصدر السابق، ص 84. مجهول، الاستبصار المصدر السابق، ص 162.

من الجهات المجاورة، فروى لهم أحاديث عن أهل البيت وفضلهم وعلمهم، وقد تشيع على يديه أهل الأربس[1]، ومرماجنة وقيل أنه سبب تشيع أهل نفطة[2].

وأما الثاني –الحلواني- فقد نزل موضعا يقال له الناظور، فبنى مسجدا، وتزوج إمرأة، قال القاضي النعمان: "كان في الفضل والعبادة والعلم علما في موضعه"[3]، وقد اشتهر ذكره وطفقت القبائل من الناس إليه فتشيع على يده الكثير من قبائل كتامة، ونفزاوة وسماتة[4]، وكان قدومه سنة 145هـ/ 762م[5].

ولعل أهم عامل جعل ابن حوشب يرسل دعاته الى بلاد المغرب أن مثل هذه البلاد تقع في الطرف الأقصى من العالم الإسلامي، فهي أرض صالحة للبذر على حد تعبير دعاتهم، وهو ما قيل للداعيتين: "اذهبا الى المغرب فإنكما تأتيان أرضا بورا، فحرثاها وكرباها، وذللاها الى أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذللة، فيبذر حبه فيها"[6]، بالإضافة الى أن هذه البيئة تمكنهم من تثبيت أقدامهم، بإنشاء كيان سياسي، فيكون مكان انطلاقهم وسيطرتهم على المشرق الإسلامي[7].

وهكذا بدأ التشيع يأخذ سبيله الى المغرب الاسلامي على هذا النحو الذي يحيكه القاضي النعمان، بمثل هذين الداعيتين اللذين كانت وظيفتهما تأليف القلوب، واستمالة

[1] مدينة بينها وبين القيروان من جهة الغرب مرحلتان، وهي مدينة كبيرة فيها أخلاط من الناس. أحمد بن واضح اليعقوبي، البلدان، دار نجف، ط3، 1977م، ص 349.

[2] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة المصدر السابق، ص 27.عبد المجيد بن حمده، المرجع السابق، ص 158. موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص 216.

[3] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص 29.

[4] سماتة أو سوماتة ذكرها ابن خلدون ضمن بطون نفزاوة البترية التي تنسب الى تطوفت بن بن نفزاو بن لوا الأكبر، وذكرهم أيضا فقال: "أما سوماتة فمنهم بقية في نواحي القيروان، كان منهم منذر بن سعيد القاضي بقرطبة لعهد الناصر. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 150، 152.

[5] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص 26، 29. موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، المرجع السابق، ص 220.

[6] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، 29، ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص 450.

[7] محمد طه الجابري، مرحلة التشيع في المغرب العربي وأثرها في الحياة الأدبية، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1983م، ص 20.

الأهواء، وتهيئة الأذهان، والإعداد للخطوات التالية، وبخاصة الخطوة التي قام بها داعية آخر، أكبر خطرا، وأكثر نفاذا[1].

واعتمادا على رواية "القاضي النعمان"[2] فقد اعتنق المذهب الاسماعيلي عدد من أهل مرماجنة، والأربس، وكتامة[3] ونفزة وسماتة ومن خلال ما تقدم يبين لنا أن الدعوة الإسماعيلية قد وُجدت بالمغرب الإسلامي قبل قدوم أبي عبد الله الشيعي بزمن طويل، وأصبح لها مراكز لانطلاق الدعاة، وجلب الأتباع، وبدت نوايا أصحابها في خلق ما يسمى بالكيان السياسي[4].

وهكذا نجح الداعيين –أبو سفيان والحلواني- في تذليل الصعوبات في بلاد المغرب، وفي تمهيد الأرض وتهيئة النفوس لتقبل الحركة التي سيقوم بها داعي آل البيت، ولم يبقى أمام الداعي أبي عبد الله غير البذر، وهو أسهل من الحرث والتنقية والإعداد[5]

ومن الذين اختارهم ابن حوشب أبو عبد الله الشيعي الصنعاني وهو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا[6]، وهو ممن صاحب بن حوشب حتى صار من تلامذته، يقول ابن عذاري: "فاختاروا منهم رجلا ذا فهم، وفصاحة وجدال ومعرفة"[7]، وقال ابن الأثير: "وكان له علم وفهم ودهاء ومكر"[8]، وقد بعثه ابن حوشب بعد سماعه بخبر وفاة الحلواني وأبي

[1] المرجع نفسه، ص 21.
[2] ستأتي ترجمته.
[3] من أشهر قبائل البربر البرانس، وهم يرجعون في نسبهم الى كتام بن برنس، وقد تشعبوا في المغرب وانبثوا في نواحيه، إلا أن جمهورهم بأرياف قسنطينة الى تخوم بجاية غربا، الى جبل أوراس من ناحية القبلة. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 195.
[4] رفيق بوراس، الأوضاع الاجتماعية بالمغرب على عهد الدولة الفاطمية، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري بقسنطينة، ص 04.
[5] موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، المرجع السابق، ص 222.
[6] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص 30. محمد بن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، المطبعة التونسية، تونس، ط1، 1682م، ص 52. تقي الدين أحمد المقريزي، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، 1998م، ج2، ص 388.
[7] المصدر السابق، ص 124. يذكر القاضي النعمان على أنه كوفي، ص 30، 33.
[8] ابن الأثير، المصدر السابق، ص 450.

سفيان وقال له: "إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا، وليس لها غيرك، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك"[1].

وقد سار أبو عبد الله في موسم الحج ليجتمع مع من يحج من تلك السنة من أهل المغرب، وقد رأى منهم جمعا، فدائب على مخالطتهم ومجالستهم[2]، وكانوا عشرة رجال من كتامة، فسألهم عن بلادهم فأخبروه بصفاتها، وخلال محادثتهم له التمس منهم أبو عبد الله ميلهم إلى مذهب النكارية من الإباضية[3]، ثم بعد أن فرغوا من الحج أظهر لهم الداعي بأنه يريد مصر، ففرح النفر بصحبته، لما أظهر لهم من العبادة والزهد، ولما بلغوا مصرا، ألحوا عليه بالانتقال معهم الى بلادهم فهو أنفع لها، وذكروا له بأنهم أعرف بحقه، فأجابهم لذلك، حتى وصلوا الى أرض كتامة سنة ثمانين ومائتين (280هـ/ 893م)[4].

اتجه أبو عبد الله الى جبل إيكجان وفيه فج الأخيار[5]، وتطلعنا المصادر أن أبا عبد الله أخبرهم بآثار التي تورد أن هذا الموضع ما سمي إلا بسمهم، وأن للمهدي هجرة به، ينصره فيه الأخيار من أهل ذلك الزمان، قوم إسمهم مشتق من الكتمان، وبخروجهم الى هذا الفج سمي فج الأخيار[6]، ولا شك أن هذه الحيلة استعطفت واستجلبت الكثير من بربر كتامة، ولعل هذا ما يبرر رغبة كل واحد من الكتاميين ليذهب بأبي عبد الله الى مسكنه، واستضافته في بيته، ولما سمعت القبائل بموضعه، قدمت عليه من كل مكان، وظل أبو عبد الله في مكانه، يدعوا الى فضائل علي وأولاده، وفضائل أهل بيته من بعده.

[1] المصدر، نفسه، ص 450.
[2] المقريزي، الخطط المقريزية، المصدر السابق، ج2، ص 388.
[3] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص 31. ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 125. المقريزي، الخطط المقريزية، المصدر السابق، ج2، ص 388.
[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص 450، 451. المقريزي، الخطط المقريزية، المصدر السابق، ج2، ص 388.
[5] لم نجد تعريفا عن منطقة اكجان وفج الأخيار سوى هذه المعلومات، التي أوردها محقق كتاب اتعاظ الحنفا من دون أن يشير الى مرجع المعلومة: ايكجان جبل بالقرب من قسنطينة، يوجد بها الموضع الذي سمي فج الأخيار، فيه قبائل كتامة، كانوا يطلقون عليه من قديم الزمان Tzajjan، وهو محل اجتماع الحجاج من الأندلس وشمال المغرب الأقصى. ينظر في التهميش: أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جما الدين الشيال، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة، ط2، 1996م، ج1، ص 57.
[6] ابن الأثير، المصدر السابق، ص 451، القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص 47. المقريزي، الخطط المقريزية، المصدر السابق، ج2، ص 388. ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 51.

2) مرحلة قيام وتنظيم الدولة:

لما اتسع نطاق دعوة أبي عبد الله الشيعي، وتكاثر عدد أنصاره وشيعته، زادت مخاوف الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، غير أنه أنصت الى رأي عامله في مدينة ميلة، الذي هون له أمر أبي عبد الله، لكنه سرعان ما أدرك بعد ذلك خطر الموقف، حيث تواترت إليه أنباء اتساع نطاق دعوة أبي عبد الله، فأرسل ولده إليه، فانهزم أبو عبد الله وكثر القتل في أصحابه، فانصرف الى إيكجان[1].

التزمت كتامة بطاعة أبي عبد الله الشيعي، ودخلت أفخاذ كثيرة من البربر في دعوته، فاتخذ لهم ديوانا نظم به أشتاتهم، ثم ألزمهم بالتجنيد، وقال: "أنا لا أدعوكم لنفسي وإنما أدعوكم لطاعة الامام المعصوم من أهل البيت، الذي صفته كذا وكذا"[2] ونعته كيت وكيت، وذكر لهم من خوارقه وكراماته ما أذهلهم واسترق ألبابهم[3].

لما وثق أبو عبد الله بكتامة أخذ يدعوها الى الاحتشاد، وقد أشار صاحب البيان الى هذا بقوله: "وكثر من معه من وجوه الرجال، وأنجاد العرب والموالي، وما معهم من العدة وآلات الحرب، ارتاع لذلك، وأخذ في حشد كتامة، وكان حشده بغير ديوان، إنما كان يكتب الى رؤساء القبائل فيحشدون من يليهم، طاعة له ورغبة فيه، وكان لا يزيدهم في كتابه إليهم على أن يقول: "إن الوعد يوم كذا في موضع كذا"[4]، ثم خرج بهم لقتال جيش الأغالبة وكان على قيادتهم إبراهيم بن حبشي التميمي، فوقع بينهم معركة عظيمة، وقد دامت المعركة من الليل الى النهار انهزم فيه إبراهيم[5].

وبعد هذا الانتصار الذي حققه أبو عبد الله، استوت أموره على جميع بلد كتامة، كما برز دعاته في كل ناحية ومكان منها، وغلب أمرها على أمصارها حتى استحكم، ولم يبقى

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ص 452.
[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 128.
[3] المصدر نفسه، ص 128، 129. عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق، ص 317.
[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 138.
[5] عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق، ص 318.

فيها إلا من دخل دعوته، سواء كان ذلك رغبتة في مذهب الشيعة، أو رهبة من بطشه، وقد جرى خلال هذا العهد حكمه على كل الأقاليم المحيط به، يجري حكمه عليهم، كما نفذ أمره فيهم، وأحاط سلطانه من ورائهم[1]، وقد استطاع تكوين دعائم الدولة من مختلف النواحي العسكرية والإدارية[2].

وبعد هذه التنظيمات عمل أبو عبد الله على فتح إفريقية فستولى على مدنها الواحدة تلوى الأخرى، وقد وجه إليه زيادة الله مع عمه إبراهيم بن الأغلب جيشا عدته أربعين ألف مقاتل، فهزمهم أبو عبد الله في أحواز الأربس سنة 296هـ/ 909م، ولما بلغ زيادة الله خبر الهزيمة تحقق من زوال دولته، فجمع ماله وأهل بيته وخرج من رقادة ليلة الإثين 26 جمادى الثانية (21 مارس)، وقصد المشرق[3].

ولما بلغ أبا عبد الله هروب زيادة الله تحرك من الأربس يريد القيروان، وولى عليها الحسن بن أحمد بن علي بن كليب، وأمره بقتل من خرج ليلا، أو شرب مسكرا أو حمله، أو وجد عنده[4]، ويذكر النعمان أن أبو عبد الله أمَّن أهل القيروان على أنفسهم وأموالهم وترك لهم ما أخذ منهم، فابتهجوا بذلك، فأعلنوا الطاعة له[5]، وبدأ أبو عبد الله يقر الأمور في إفريقية، ويثبت دعائم الدولة الفتية، يقول القاضي النعمان: "ولما استقر أبو عبد الله برقادة أمر مناديا فنادى بالقيروان بالأمان التام للعامة، ورجوع من كان تنحى عن وطنه إليه، فرجع الناس الى أوطانهم، وقرُّوا في قرارهم، وأخرج العمال الى البلدان ونادى فيها

[1] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص 116.
[2] رفيق بوراس، المرجع السابق، ص 06.
[3] ابن عذاري، المصدر السابق، ص 147. عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق، ص 319.
[4] المصدر نفسه، ص 149.
[5] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص 244. سعد زغلول، المرجع السابق، ص 580، 581.

بالأمان، وبطلب أهل الدعارة والفساد فأنكاهم عقوبة فسكنت الدَّهاءُ[1]، وأمنت السبل، ومشت السيارة وخاف أهل الأذى"[2].

ولكن رواية ابن عذاري تفسر لنا السبب الذي دفع أهل القيروان في الخروج الى عبد الله الشيعي، وإعلان الطاعة له وطلب الآمان وذلك حينما سمعوا بمسيره من الأربس يريد القيروان، فخافوا على أنفسهم من بطشه، يقول ابن عذاري: "فتحرك من الأربس يريد القيروان، فهال الناس أمره، وخافوا على أنفسهم، وخرج إليه الفقهاء ووجوه الناس"[3]، وهذه الطاعة والانقياد إنما هي تقية من أهل القيروان اتقاء لشر أبي عبد الله الشيعي، وفي هذا الصدد يضيف ابن عذاري: "فالتقوا به على ساقية ممس، وسلموا عليه، وأظهروا له الرغبة في دولته، وسألوه الأمان؛ فأمنهم"[4].

وبعد هذه الإجراءات التنظيمية التي تبين أن أبا عبد الله الشيعي راد من خلالها الاستعداد لقدوم الإمام الذي كان يدعوا له، وهو عبيد الله المهدي، والذي كان محبوسا على حافة الصحراء في جنوب المغرب الأقصى بمدينة سجلماسة.

وعن كيفية وصول المهدي إلى سجلماسة، فإنه لما تناقل أهل المغرب خبر المهدي وقدومه الى بلادهم، وصل هذا الخبر إلى الخلافة في المشرق، فاشتد التضييق والخناق على طلب صاحب الدعوة، الذي لجأ إلى سليمة[5] من أرض حمص في بلاد الشام، ثم فر برفقة ولده وصحبه الى مصر، وكان يرتدي ثياب التجار، وقد وجد عبيد الله الترحيب من دعاة

[1] قد أشار ابن عذاري أيضا الى بعض ما قام به أبو عبد الله الشيعي من الأعمال التنظيمية في المنطقة فقد أمر والي القيروان أحمد بن علي بن كليب "بقتل من خرج ليلا أو شرب مسكرا، أو حمله أو وجده عنده". ابن عذاري، المصدر السابق، ص 151.

[2] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص 146.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، ص 149.

[4] المصدر نفسه، ص 150.

[5] بلدة بالشام تقع شمال شرق حمص على مسافة 55 كلم، اتخذها أئمة الإسماعيلية مركزا لنشر دعوتهم الى كافة الأقطار. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 3، ص 240. ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص 452، 453.

المذهب بهذه البلاد، غير أن كتب الخلافة وصلت الى مصر في طلبه، فأسرع إليه أعوانه يعجلون في رحيله الى المغرب[1].

غادر المهدي الديار المصرية، وعند وصوله نواحي برقة تقدم عبر الصحراء والواحات في المغرب الأدنى، وقد سلك في ذلك طريق القوافل التجارية ، وما زال يسير في ذلك الطريق الوعر الذي يقيم فيه قطاع الطرق واللصوص، وعندما أصبح على مقربة من طرابلس علم به زيادة بن الأغلب، ولكنه غض الطرف عنه، رغم ما لديه من أوامر عباسية تدعوا الى القبض عليه[2]، ومن طرابلس واصل المهدي طريقه مجتازا المغرب الأوسط، وبدلا من أن يتوجه إلى القطاع الذي استولى عليه داعيته أبو عبد الله، توغل في أراضي المغرب الأقصى على حدود الصحراء، حتى وصل الى سجلماسة، وقد ظهر بها على ما تذكره المصادر في ذي الحجة من سنة 296هـ/ 909م، فأخذهما – المهدي وابنه- المدرار بن اليسع وقيدهما بالحديد[3].

إن المصادر التي بين أيدينا لم تذكر الأسباب التي جعلت المهدي يسلك هذا الطريق الصحراوي البعيد، كما أنها أغفلت ذكر هذا الحدث، الذي جعل المهدي يلقي بنفسه الى المدراريين، وفي بلاد –على الأرجح- أنها لم تعرف دعاة الشيعة الإسماعيلية، فيما كان بمقدوره أن "يسلك طريقا أقصر للوصول الى الأراضي المغربية الوسطى، التي يسيطر عليها أبو عبد الله الشيعي"[4].

لما علم أبو عبد الله الشيعي بما حصل للمهدي في سجلماسة، سار بجيش عظيم اهتز المغرب لخروجه، وخافت قبائل زناتة وزالت القبائل عن طريقه، وجاءته رسلهم، ودخلوا في طاعته، ثم وصل تاهرت فدخلها بالأمان، وقتل من بها من الرستميين، كما قتل إمامها

[1] عارف تامر، المعز لدين الله الفاطمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1982م، ص 30.
[2] المرجع نفسه، ص 31.
[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص 155. أبو عبد الله الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم، تحقيق تهامي نقرة، عبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص 36. ابن عذاري، المصدر السابق، ص 152. المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص 54.
[4] عارف تامر، المرجع السابق، ص 31.

اليقظان بن أبي اليقظان، وجماعة أهل بيته وبعث برؤوسهم الى أخيه أبي العباس برقادة، وطوفت بالقيروان، ونصبت على باب مدينة رقادة[1]، فلما قرب من سجلماسة وانتهى خبره الى اليسع بن مدرار، خرج إليه وقاتله في ذلك اليوم، فافترقوا فلما جنهم الليل هرب اليسع وأصحابه[2].

وخلَّص عبيد الله الشيعي وابنه أبا القاسم، فلما بصر به أبو عبد الله ترجل له، وخضع بين يديه وبكى، ثم سلم إليه الأمر وقال لمن معه "هذا هو مولايا ومولاكم، قد أنجز الله له وعده، وأعطاه حقه وأظهر أمره"[3].

وتوجه بعدها الى رقادة، وأقام بها الى أن بنى المهدية، وجعلها دارا لملكه سنة 308هـ/ 920م، فبنى قصره بها ولابنه أبي القاسم، وبنى بها دار الصناعة، وقَتل أبا عبد الله الشيعي الداعي وأخاه أبا العباس، ثم قتل جميع من ولاهما من شيوخ كتامة[4].

وهكذا خَلُصَ الأمر لعبيد الله، فملك إفريقية كلها والمغرب بأسره، وجربة وصقلية، "ووجه ابنه وولي عهده أبا القاسم الى ديار مصر دفعتين: الأولى منهما سنة 301هـ (913م)، فملك الاسكندرية والفيوم، وجنى خراجهما، وخراج بعض عمال الصعيد، والثانية سنة 306هـ (918م)"[5].

كما أمر أن يدعوا له في المنابر وخطب الأعياد، بمرسوم يقال فيه بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى أمير المؤمنين علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، وعن الأئمة من أولادهم "اللهم صلي على عبدك ووليك وخليفتك القائم بأمر عبادك في بلادك، أبي محمد عبيد الله الامام المهدي بالله أمير المؤمنين، كما صليت على آبائه

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ص 153. ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 40. ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 52.
[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ص 460. المقريزي، الخطط المقريزية، المصدر السابق، ج2، ص 389.
[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 153. المقريزي، الخطط المقريزية، المصدر السابق، ج2، ص 389.
[4] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 41. ابن عذاري، المصدر السابق، ص 164.
[5] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 41.

خلفائك الراشدين المهديين الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون، اللهم وكما اصطفيته لولايتك واخترته لخلافتك، وجعلته لديك عصمة وعمادا، ولترتيبك موئلا وملاذا، فانصره على أعدائك المارقين، وافتح له مشارق الأرض ومغاربها كما وعدته، وأيده على العصاة الضالين إنك أنت الحق المبين"[1].

وتوفي منتصف ربيع الأول سنة 322هـ/334م، وقام بالأمر بعده القائم بأمر الله (322-334هـ/934- 946م)، وقد افتتحت في أيامه بلاد كثيرة، منها مدن الروم بصقلية، ووجه جيوشه الى المغرب فاستولى على أكثرها، ووجه جوهر الصقلي بأسطوله الى جنوة ففتحها، وفي أيامه خرج عليه مخلد بن كيداد الخارجي وكان نكاريا"[2].

وقد تعاقب على حكم بلاد المغرب من الخلفاء الفاطمين أربعة خلفاء أولهم عبيد الله المهدي، وهو باني الدولة ومؤسسها (296 - 322هـ/909 - 934م)، ثم ابنه أبو القاسم محمد بن عبيد الله، لقب بالقائم بأمر الله (322- 334هـ/934 - 946م)، ثم جاء بعده أبو الطاهر اسماعيل بن محمد بن عبيد الله، الذي لقب بالمنصور (334- 341ه / 946م – 953م)، وآخرهم أبو تميم معد بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله الذي لقب بالمعز لدين الله (341-365هـ/ 593 - 966م)، والذي غادر المغرب نهائيا الى مصر عام 362هـ/ 972م.

وبالنسبة للوضعية العامة في عهد خلفاء المرحلة المغربية، يمكن القول أن المغرب لم يستكن لهم، بسبب الاضطرابات التي كانت تعم البلاد، فبالإضافة للخلاف الفكري مع أهل السنة، نجد كثرة الفتن وتعدد الثورات في المغربين الأوسط والأقصى، وبخاصة الثورة مع أبي يزيد مخلد بن كيداد[3]

[1] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 51.
[2] المصدر نفسه، ص 53.
[3] كان من بني يفرن، ولد بمدينة تورز، فنشأبها وتعلم القرآن، وخالط جماعة من النكارية حتى صار على مذهبهم، بعد أن كان وهبيا، سافر الى تهرت فأقام بها يعلم الصبيان، وكان مذهبه تكفير أهل الملة، واستباحة الأموال والدماء، والخروج على السلطان، كثر أتباعه، وتزايدت شوكته، أيام القائم بالله، فدخل معه في صراع وسجال سنبينه في الحديث عن الصراع

وبهذا يمكن القول أن الخلفاء عاشوا مراحل صعبة وعصيبة، حتى من القبيلة التي كان لها اليد الطولا في قيام الدولة الفاطمية –قبيلة كتامة-، وقد ذكر المقريزي جانبا من الصراع الذي قام بين المهدي وقبيلة كتامة بعد تشكيكهم في مهداويته، ولما أقدم عليه من قتل أبي عبد الله الشيعي فثارت بذلك فتنة، جردت لها السيوف[1].

الفاطمي الخارجي. أبو ركرياء، المصدر السابق، ص 116. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص 332. المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص 75.

[1] المصدر نفسه، ص 68.

- **المذهب المالكي (دخوله وانتشاره ونضاله ضد المذاهب الأخرى)**

نشأة المذهب المالكي وظروفه التاريخية

ظهر المذهب المالكي أول ما ظهر في المدينة المنورة في القرن الثاني الهجري، على يد الإمام مالك بن أنس 179-93 هـ795-712م[1] في بيئة المدينة التي عاش فيها النبي صلى الله عليه وسلم، والتي كانت مهد السنة النبوية، وأول مركز للعلم والفقه، وذلك بخصوصية التي جمعت فيها وهي إقامة الكثير من الصحابة والتابعين فيها.

وقد أدى ذلك إلى ظهور ما يُعرف بفقه أهل المدينة، الذي يعتمد على عمل أهل المدينة في استنباط الاحكام الشرعية، وهو من الأسس التي قام عليه المذهب المالكي.

الإمام مالك بن أنس :حياته وعلمه

ولد الإمام مالك بن أنس في المدينة المنورة سنة 93 هـ712م، ونشأ فيها في بيت علم وفضل، فقد كان جده من كبار التابعين ورواة حديث رسول الله صلى[2]، وقد طلب العلم منذ صغره، وتتلمذ على يد كبار علماء المدينة في عصره، مثل نافع مولى ابن عمر، وابن شهاب الزهري وغيرهم.

وقد اشتهر الإمام مالك بسعة علمه وقوة حفظه، وكان يُلقب بإمام دار الهجرة، وشيخ الإسلام، وحجة الأمة، تصدر للإفتاء والتدريس في المسجد النبوي، وقصده طلاب العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وتخرج على يديه كثير من العلماء والفقهاء، منهم الإمام الشافعي، الذي قال :«لولا مالك والثوري لذهب علم الحجاز.[3]

ومن أهم مؤلفات الإمام مالك كتاب «الموطأ «، الذي يُعد من أقدم كتب الحديث والفقه، وقد جمع فيه الأحاديث النبوية وآثار الصحابة والتابعين، ورتبها على أبواب الفقه،

[1] محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1989)، 366.

[2] الشيرازي، أبو إسحاق، طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار الرائد العربي، 1970)، 57.

[3] أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، 377.

وضمنها آراءه الفقهية[1]وقد حظي هذا الكتاب بمكانة عظيمة عند المسلمين، حتى قال الإمام الشافعي :«ما بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك.

أصول المذهب المالكي ومصادره

يعتمد المذهب المالكي على مجموعة من الأصول والمصادر في استنباط الأحكام الشرعية، وهي:

1. **القرآن الكريم** :وهو المصدر الأول الذي اعتمده المالكية، كما هو الحال في جميع المذاهب الإسلامية[2]
2. **السنة النبوية** :وهي المصدر الثاني للتشريع في المذهب المالكي، وقد اهتم الإمام مالك بالسنة اهتماماً كبيراً، وكان شديد التحري في قبول الأحاديث، وكان يشترط في الراوي أن يكون ثقة، وأن يكون فقيهاً يفهم ما يروي[3]
3. **عمل أهل المدينة** :وهو من أهم الأصول التي تميز بها المذهب المالكي، ويقصد به ما استقر عليه العمل في المدينة المنورة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى عهد الإمام مالك .وقد اعتبر الإمام مالك عمل أهل المدينة حجة شرعية، لأن المدينة كانت مهبط الوحي، ومقر الخلافة الراشدة، وموطن كثير من الصحابة، وكان أهلها أعلم الناس بالسنة النبوية[4]
4. **الإجماع** :وهو اتفاق علماء المسلمين في عصر من العصور على حكم شرعي، وهو حجة عند الإمام مالك، كما هو الحال عند جميع الأئمة[5]

[1] الشيرازي، طبقات الفقهاء، 59.

[2] وحدة البحث العلمي بادارة الافتاء الكويتية، المذاهب الفقهية الأربعة: نشأتها وتطورها، ص 73.

[3] أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، 398.

[4] الشيرازي، طبقات الفقهاء، 60.

[5] وحدة البحث العلمي بادارة الافتاء الكويتية، "المذاهب الفقهية الأربعة: نشأتها وتطورها، ص 74.

5. **القياس** :وهو إلحاق واقعة لا نص فيها بواقعة ورد فيها نص، لاشتراكهما في علة الحكم .وقد استخدم الإمام مالك القياس في استنباط الأحكام الشرعية، ولكنه كان يقدم عليه عمل أهل المدينة[1]
6. **المصالح المرسلة** :وهي المصالح التي لم يرد في الشرع نص باعتبارها أو إلغائها، ولكنها تتفق مع مقاصد الشريعة .وقد توسع الإمام مالك في الأخذ بالمصالح المرسلة، وبنى عليها كثيراً من الأحكام[2]
7. **سد الذرائع** :وهو منع الوسائل المؤدية إلى المفاسد، حتى وإن كانت هذه الوسائل مباحة في الأصل .وقد توسع الإمام مالك في الأخذ بسد الذرائع، وبنى عليه كثيراً من الأحكام[3]
8. **الاستحسان** :وهو العدول عن مقتضى قياس جلي إلى قياس خفي، أو العدول عن حكم كلي إلى حكم استثنائي، لدليل يقتضي ذلك .وقد استخدم الإمام مالك الاستحسان في استنباط الأحكام الشرعية[4].
9. **العرف** :وهو ما اعتاده الناس وساروا عليه في حياتهم .وقد اعتبر الإمام مالك العرف في استنباط الأحكام الشرعية، إذا لم يخالف نصاً شرعياً[5].

انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي

انتشر المذهب المالكي في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، وخاصة في الغرب الإسلامي) شمال أفريقيا والأندلس(، حيث أصبح المذهب السائد هناك[6]وقد بدأ انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي في أواخر القرن الثاني الهجري، على يد تلاميذ الإمام مالك

[1] أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، 401.

[2] الأكاديمية الإسلامية المفتوحة، "المذاهب الفقهية: المذهب المالكي، تم النشر في 5 يناير 2023، تم الاطلاع في 15 مارس 2025، http://www.islamacademy.net/article/maliki.

[3] وحدة البحث العلمي بادارة الافتاء الكويتية، "المذاهب الفقهية الأربعة: نشأتها وتطورها، ص 81.

[4] أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، 401.

[5] الشيرازي، طبقات الفقهاء، 62.

[6] أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، 404.

الذين رحلوا إلى هذه المناطق، مثل علي بن زياد التونسي، وعبد الرحمن بن القاسم، وأسد بن الفرات، وسحنون بن سعيد.

وقد ساهمت عدة عوامل في انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي، منها:

10. **رحلة طلاب العلم من المغرب إلى المدينة** :حيث كان كثير من طلاب العلم من المغرب يرحلون إلى المدينة المنورة لطلب العلم، ويتتلمذون على يد الإمام مالك، ثم يعودون إلى بلادهم حاملين علمه ومذهبه[1]
11. **تبني الدولة للمذهب المالكي** :حيث تبنت بعض الدول في المغرب الإسلامي المذهب المالكي، مثل دولة الأدارسة في المغرب، ودولة الأغالبة في تونس، مما ساهم في انتشاره[2]
12. **ملاءمة المذهب المالكي لطبيعة المجتمع المغربي** :حيث كان المذهب المالكي يتميز بالوسطية والاعتدال، وكان يراعي المصالح والأعراف، مما جعله ملائماً لطبيعة المجتمع المغربي[3]
13. **جهود علماء المالكية في المغرب** :حيث قام علماء المالكية في المغرب بجهود كبيرة في نشر المذهب المالكي، من خلال التدريس والتأليف والإفتاء والقضاء[4]

وقد ظهر في المغرب الإسلامي علماء كبار في المذهب المالكي، ألفوا كتباً مهمة أصبحت من أمهات كتب المذهب، مثل «المدونة « لسحنون بن سعيد، و»البيان والتحصيل « لابن رشد الجد، و»الذخيرة « للقرافي، و»مواهب الجليل « للحطاب[1]

---

[1] وحدة البحث العلمي بادارة الافتاء الكويتية، "المذاهب الفقهية الأربعة: نشأتها وتطورها، ص 90.

[2] أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ص 405، 406.

[3] الشيرازي، طبقات الفقهاء، 65.

[4] مركز الدراسات الإسلامية، "الحركات المذهبية في التاريخ الإسلامي: المذهب المالكي في المغرب، تم النشر في 10 يناير 2023، تم الاطلاع في 20 مارس 2025، http://www.islamicstudies.org/movements/maliki-maghrib.

- **المذهب الظاهري ببلاد المغرب.**

نشأة المذهب الظاهري وظروفه التاريخية

ظهر المذهب الظاهري في أوائل القرن الثالث الهجري، على يد داود بن علي الأصبهاني الظاهري270-202 هـ884-817م [80].وقد نشأ هذا المذهب في ظروف فكرية خاصة، حيث كان هناك توسع كبير في استخدام الرأي والقياس في استنباط الأحكام الشرعية، مما أدى إلى ظهور اتجاه مضاد يدعو إلى الاقتصار على ظواهر النصوص، وعدم التوسع في الرأي والقياس.

وقد تميز المذهب الظاهري بالأخذ بظواهر النصوص، وعدم التأويل إلا بدليل، ورفض القياس والرأي، والاقتصار على الكتاب والسنة والإجماع[2]وقد كان لهذا المنهج أثر كبير في تشكيل المذهب الظاهري وتميزه عن غيره من المذاهب.

داود الظاهري وابن حزم :حياتهما وعلمهما

يُعد داود بن علي الأصبهاني الظاهري270-202 هـ884-817م مؤسس المذهب الظاهري[3]وقد ولد في الكوفة، ونشأ في بغداد، وتتلمذ على يد إسحاق بن راهويه، وأبي ثور، وغيرهما .وقد اشتهر داود بسعة علمه وقوة حجته، وكان يُلقب بـ «المجتهد المطلق «.

وقد كان داود في بداية أمره شافعي المذهب، ثم استقل بمذهب خاص به، وهو المذهب الظاهري، الذي يقوم على الأخذ بظواهر النصوص، وعدم التأويل إلا بدليل، ورفض القياس والرأي[4]وقد ألف داود كتباً كثيرة في الفقه والأصول، منها «الإيجاز في الفقه «، و»إبطال القياس «، و»إبطال التقليد «.

---

[1] أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ص 405، 406..

[2] وحدة البحث العلمي بادارة الافتاء الكويتية، "المذاهب الفقهية الأربعة: نشأتها وتطورها، 142.

[3] الشيرازي، طبقات الفقهاء، 100.

[4] أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، 505.

أما ابن حزم الأندلسي456-384 هـ1064-994م، فهو من أبرز علماء المذهب الظاهري، وقد جدد هذا المذهب ونشره في الأندلس بعد أن كاد يندثر[1]وقد ولد ابن حزم في قرطبة، ونشأ في بيت علم وسياسة، فقد كان أبوه وزيراً في الدولة الأموية في الأندلس.

وقد كان ابن حزم في بداية أمره شافعي المذهب، ثم تحول إلى المذهب الظاهري، وأصبح من أبرز علمائه ومجدديه[2]وقد ألف ابن حزم كتباً كثيرة في مختلف العلوم، منها «المحلى « في الفقه، و»الإحكام في أصول الأحكام « في أصول الفقه، و»الفصل في الملل والأهواء والنحل « في العقائد والفرق.

أصول المذهب الظاهري ومصادره

يعتمد المذهب الظاهري على مجموعة من الأصول والمصادر في استنباط الأحكام الشرعية، وهي:

14. **القرآن الكريم** :وهو المصدر الأول للتشريع في المذهب الظاهري، كما هو الحال في جميع المذاهب الإسلامية .وقد كان الظاهرية يأخذون بظواهر النصوص القرآنية، ولا يقولون به إلى التأويل إلا بدليل[3]
15. **السنة النبوية** :وهي المصدر الثاني للتشريع في المذهب الظاهري، وقد كان الظاهرية يأخذون بظواهر النصوص النبوية، ولا يقولون به إلى التأويل إلا بدليل[4]
16. **الإجماع** :وهو المصدر الثالث للتشريع في المذهب الظاهري، ولكن الظاهرية كانوا يشترطون في الإجماع أن يكون إجماع الصحابة فقط، ولا يعتبرون إجماع من بعدهم[5]

[1] الشيرازي، طبقات الفقهاء، 102.

[2] أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، 510.

[3] وحدة البحث العلمي بادارة الافتاء الكويتية، "المذاهب الفقهية الأربعة: نشأتها وتطورها، 143.

[4] أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، 515.

[5] الشيرازي، طبقات الفقهاء، 103.

17. **الاستصحاب** :وهو بقاء الأمر على ما كان عليه حتى يثبت ما يغيره .وقد استخدم الظاهرية الاستصحاب في استنباط الأحكام الشرعية[1]

وقد تميز المذهب الظاهري بعدة خصائص، منها:

18. **الأخذ بظواهر النصوص** :حيث كان الظاهرية يأخذون بظواهر النصوص، ولا يلجأون إلى التأويل إلا بدليل[2]
19. **رفض القياس والرأي** :حيث كان الظاهرية يرفضون القياس والرأي، ويعتبرونهما من البدع في الدين[3]
20. **رفض التقليد** :حيث كان الظاهرية يرفضون التقليد، ويدعون إلى الاجتهاد، ويرون أن كل مسلم يجب عليه أن يجتهد في معرفة الأحكام الشرعية[4]
21. **التوسع في الاستصحاب** :حيث كان الظاهرية يتوسعون في استخدام الاستصحاب في استنباط الأحكام الشرعية[5]

انتشار المذهب الظاهري في الأندلس

انتشر المذهب الظاهري في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، وخاصة في العراق والأندلس[6]وقد بدأ انتشار المذهب الظاهري في العراق في أوائل القرن الثالث الهجري، على يد مؤسسه داود بن علي الظاهري، ثم انتشر في الأندلس في القرن الخامس الهجري، على يد ابن حزم الأندلسي.

[1] الأكاديمية الإسلامية المفتوحة، "المذاهب الفقهية: المذهب الظاهري، تم النشر في 5 يناير 2023، تم الاطلاع في 15 مارس 2025، http://www.islamacademy.net/article/zahiri.

[2] وحدة البحث العلمي بادارة الافتاء الكويتية، "المذاهب الفقهية الأربعة: نشأتها وتطورها، 144.

[3] أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، 520.

[4] الشيرازي، طبقات الفقهاء، 104.

[5] مركز الدراسات الإسلامية، "الحركات المذهبية في التاريخ الإسلامي: المذهب الظاهري، تم النشر في 10 يناير 2023، تم الاطلاع في 20 مارس 2025، http://www.islamicstudies.org/movements/zahiri.

[6] أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، 525.

وقد ساهمت عدة عوامل في انتشار المذهب الظاهري في الأندلس، منها:

22. **جهود ابن حزم في نشر المذهب** :حيث قام ابن حزم بجهود كبيرة في نشر المذهب الظاهري في الأندلس، من خلال التدريس والتأليف والمناظرة[1]
23. **دعم بعض الأمراء للمذهب الظاهري** :حيث تبنى بعض أمراء الأندلس المذهب الظاهري، مما ساهم في انتشاره[2]
24. **رد فعل على التعصب المذهبي** :حيث كان انتشار المذهب الظاهري في الأندلس رد فعل على التعصب المذهبي الذي كان سائداً هناك، وخاصة التعصب للمذهب المالكي[3]

وقد ظهر في الأندلس علماء كبار في المذهب الظاهري، ألفوا كتباً مهمة أصبحت من أمهات كتب المذهب، مثل «المحلى « و»الإحكام في أصول الأحكام « لابن حزم[4].

- **المذهب الموحدي.**

نشأة دعوة الموحدين وظروفها التاريخية

ظهرت دعوة الموحدين في بلاد المغرب في أوائل القرن السادس الهجري، على يد محمد بن تومرت[5]وقد نشأت هذه الدعوة في ظروف سياسية واجتماعية خاصة، حيث كانت

[1] وحدة البحث العلمي بادارة الافتاء الكويتية، "المذاهب الفقهية الأربعة: نشأتها وتطورها، 145.

[2] أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، 530.

[3] الشيرازي، طبقات الفقهاء، 105.

[4] أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، 535.

[5] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد 6، 255.

دولة المرابطين تعاني من الضعف والانحلال، وكان هناك سخط شعبي على سياساتها، وخاصة في مجال الضرائب والجباية.

وقد بدأت دعوة الموحدين كحركة إصلاحية دينية، تدعو إلى التوحيد الخالص، ونبذ التشبيه والتجسيم، والعودة إلى الكتاب والسنة، ومحاربة التقليد والجمود[1]ثم تحولت إلى حركة سياسية، تهدف إلى القضاء على دولة المرابطين، وتأسيس دولة جديدة على أنقاضها.

محمد بن تومرت وعبد المؤمن بن علي :دورهما في تأسيس الدعوة

يُعد محمد بن تومرت المؤسس الحقيقي لدعوة الموحدين، وقد كان عالماً فقيهاً، درس في المشرق، وتأثر بفكر أبي حامد الغزالي وابن حزم الظاهري[2]وقد بدأت قصة دعوة الموحدين عندما عاد ابن تومرت من المشرق إلى المغرب، وبدأ في الدعوة إلى التوحيد الخالص، ونبذ التشبيه والتجسيم، ومحاربة البدع والمنكرات.

وقد واجه ابن تومرت مقاومة من علماء المرابطين، الذين اتهموه بالابتداع والخروج عن المذهب المالكي، فاضطر إلى الانسحاب إلى جبال الأطلس، حيث وجد قبولاً بين قبائل المصامدة البربرية[3]وهناك أسس دعوته، وأعلن نفسه «المهدي المعصوم «، وبدأ في تنظيم أتباعه، وإعدادهم للجهاد ضد المرابطين.

وقد كان عبد المؤمن بن علي الكومي من أوائل أتباع ابن تومرت، وأقربهم إليه، وقد اختاره ابن تومرت ليكون خليفته من بعده[4]وبعد وفاة ابن تومرت سنة524 هـ1130/م، تولى عبد المؤمن قيادة الحركة، وتمكن من القضاء على دولة المرابطين، وتأسيس دولة الموحدين.

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المجلد 9, 120.

[2] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد 6، 257.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المجلد 9, 122.

[4] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد 6، 260.

الأصول الفكرية والعقائدية لدعوة الموحدين

تميزت دعوة الموحدين بمجموعة من الأصول الفكرية والعقائدية، التي شكلت هويتها وميزتها عن غيرها من الحركات الإسلامية، ومن أهم هذه الأصول:

25. **التوحيد الخالص** :حيث كانت دعوة الموحدين تدعو إلى التوحيد الخالص، ونبذ التشبيه والتجسيم، وتنزيه الله عن مشابهة المخلوقات[1]وقد كان ابن تومرت يتهم المرابطين بالتشبيه والتجسيم، بسبب أخذهم بظواهر النصوص في صفات الله، وعدم تأويلها.
2. **الاعتماد على الكتاب والسنة** :حيث كانت دعوة الموحدين تدعو إلى الاعتماد على الكتاب والسنة، ونبذ التقليد والجمود[2]وقد كان ابن تومرت ينتقد المرابطين لتقليدهم المذهب المالكي، وعدم اجتهادهم في فهم النصوص.
3. **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** :حيث كانت دعوة الموحدين تدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعتبره واجباً على كل مسلم[3]وقد كان ابن تومرت شديداً في تطبيق هذا المبدأ، حتى إنه كان يقيم الحدود على من يرتكب المنكرات.
4. **المهدوية والعصمة** :حيث كان ابن تومرت يدعي أنه «المهدي المعصوم «، الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه معصوم من الخطأ والزلل[4]وقد كان يستدل على ذلك ببعض الأحاديث النبوية، وببعض الكرامات التي كان يدعيها.
5. **التنظيم الهرمي** :حيث كانت دعوة الموحدين تعتمد على تنظيم هرمي دقيق، يتكون من عدة طبقات، على رأسها «المهدي المعصوم «، ثم «أهل الجماعة «) مجلس الشورى(،

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المجلد 9, 125.
[2] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد 6، 262.
[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المجلد 9, 127.
[4] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد 6، 265.

ثم «أهل الخمسين «) القادة العسكريون(، ثم «الطلبة «) الدعاة والمعلمون(، ثم عامة الأتباع[1]وقد كان هذا التنظيم من أسباب نجاح الدعوة وانتشارها.

قيام دولة الموحدين وتأثيرها السياسي

تمكن الموحدون من تأسيس دولة قوية في بلاد المغرب والأندلس، استمرت حوالي قرن ونصف من الزمان668-524) هـ1269-1130/م(، وكان لها تأثير كبير على الحياة السياسية والفكرية في العالم الإسلامي[2]وقد مرت دولة الموحدين بعدة مراحل:

26. **مرحلة التأسيس** :وهي المرحلة التي بدأت بدعوة محمد بن تومرت، وانتهت بتأسيس دولة الموحدين على يد عبد المؤمن بن علي، بعد القضاء على دولة المرابطين سنة 541هـ1147/م[3]
3. **مرحلة القوة والازدهار** :وهي المرحلة التي بدأت بتولي عبد المؤمن بن علي قيادة الدولة، واستمرت في عهد ابنه أبي يعقوب يوسف، وحفيده أبي يوسف يعقوب المنصور، وتميزت بالتوسع في بلاد المغرب والأندلس، والانتصار على الممالك المسيحية في معركة الأرك سنة591 هـ1195/م[4]
4. **مرحلة الضعف والانهيار** :وهي المرحلة التي بدأت بعد هزيمة الموحدين في معركة العقاب سنة609 هـ1212/م، وتميزت بظهور دول وإمارات مستقلة في بلاد المغرب والأندلس، حتى سقطت دولة الموحدين نهائياً على يد بني مرين سنة668 هـ1269/م[5]

وقد كان لدولة الموحدين تأثير كبير على الحياة السياسية والفكرية في العالم الإسلامي، حيث أدت إلى:

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المجلد 9, 130.
[2] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد 6، 267.
[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المجلد 9, 132.
[4] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد 6، 270.
[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المجلد 9, 135.

27. **توحيد بلاد المغرب والأندلس** :حيث تمكن الموحدون من توحيد بلاد المغرب والأندلس تحت راية واحدة، وتأسيس دولة قوية، امتدت من برقة شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن الصحراء الكبرى جنوباً إلى الأندلس شمالاً[1]

4. **مواجهة الخطر المسيحي** :حيث تمكن الموحدون من مواجهة الخطر المسيحي في الأندلس، والانتصار على الممالك المسيحية في معركة الأرك سنة591 هـ1195/م، مما أدى إلى تأخير سقوط الأندلس عدة قرون[2]

5. **تشجيع العلم والفكر** :حيث قام الموحدون بتشجيع العلم والفكر، وتقريب العلماء والفلاسفة، مثل ابن طفيل وابن رشد، مما أدى إلى ازدهار الحركة العلمية والفكرية في عهدهم[3]

5. **تطوير العمارة والفنون** :حيث قام الموحدون بتطوير العمارة والفنون، وبناء المساجد والقصور والمدن، مثل مسجد الكتبية في مراكش، ومسجد حسان في الرباط، وقصبة الأوداية في الرباط[4]

6. **تطوير النظام الإداري والعسكري** :حيث قام الموحدون بتطوير النظام الإداري والعسكري، وتنظيم الدولة بشكل محكم، مما أدى إلى استقرارها وقوتها[5]

- **العقيدة الأشعرية وانتشارها ببلاد المغرب**

[1] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد 6، 272.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المجلد 9, 137.

[3] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد 6، 275.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المجلد 9, 140.

[5] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد 6، 277. # مذاهب التزكية والعرفان - مع تهميش محسن

أ) الأشاعرة وظروف نشأتها

ظهرت فرقة الأشاعرة كفرقة كلامية في القرن الرابع الهجري، على يد أبي الحسن الأشعري ت324 هـ/ 936م[1]نشأت هذه الفرقة في ظروف فكرية عرف فيها العالم الاسلامي صراعاً فكرياً حاداً بين المعتزلة وأهل الحديث.

ارتبط ظهور الأشاعرة بتحول المذهبي الذي وقع لأبي الحسن الأشعري من مذهب المعتزلة إلى مذهب أهل السنة والجماعة، فقد كان الأشعري من تلامذة الجبائي، الذي كان من أبرز شيوخ المعتزلة ومن كبارهم، غير أنه اختلف معه في بعض المسائل، وهي المرحلة الانتقالية التي جعلت الأشعري يتوب عن مذهب المعتزلةفي طريق تأسيس مذهب جديد يجمع بينالنقل و العقل[2]

ب)أهم أعلام الأشاعرة

أبو الحسن الأشعري ت324 هـ/ 936م مؤسس فرقة الأشاعرة، وقد كان من تلاميذ الجبائي كما أشرنا[3]

ومنهم القاضي أبو بكر الباقلاني ت403 هـ1013م، صاحب شرح الابانة، الذي يُعد من أبرز متكلمي الأشاعرة، والذي طور مذهب الأشعري وأضاف إليه.

الإمام الجويني (ت 478هـ) هو من الأوائل الذين اعتنوا بمقاصد الشريعة في كتاباتهم الأصولية، كانت كتاباته في ذلك على قدر كبير من الضبط والإحكام والوعي بأثر الجهد في

[1] النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، 330.

[2] الشهرستاني، الملل والنحل، 93.

[3] بدوي، مذاهب الإسلاميين، 150.

ضبط أحكام المقاصد في انتظام الاجتهاد في واقع الناس، وقد كان له دور كبير في تطوير المذهب الأشعري[1].

ومنهم أبو حامد الغزالي ت505 هـ1111م، الذي كان من تلاميذ للإمام الجويني، وهو ممن كان لهم دور كبير في نشر المذهب الأشعري وتطويره[2]

ومنهم فخر الدين الرازي ت606 هـ1209م، وهو من أبرز المتكلمين عند الأشاعرة المتأخرين، وقد ألف كتباً كثيرة في الدفاع والذود عن المذهب الأشعري.

ومنهم سيف الدين الآمدي ت631 هـ1233مكان له هو أيضا دور كبير في تطوير المذهب الأشعري[3]

ج) الأصول الفكرية والعقائدية عند لأشاعرة

تقوم عقيدة الأشاعرة على أساس الجمع بين العقل والنقل، ومن أهم أصولهم العقدية نذكر:

1. **إثبات صفات الله تعالى** : ذهب الأشاعرة أن لله صفات زائدة على ذاته، مثل العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام.وهم بهذا يخالفون المعتزلة الذين نفوا الصفات الزائدة ، وقد جاء رأيهم موافقا لأهل الحديث الذين أثبتوا الصفات[4]
2. **الكسب في أفعال العباد** : ذهب الأشاعرة أن أفعال العباد مخلوقة من قبل لله تعالى، وأن العبد ليس له فيها إلا الكسب، وهو مقارنة الفعل بقدرة العبد وإرادته، وقد توسطوا بهذا

[1] عبد القادر بن حرز الله، أصول مقاصد التشريع الإسلامي في فكر الامام الحويني تـ 478 هـ ، مجلة الاحياء العدد السابع، 2003، ص 195.

[2] النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، 335.

[3] الحلو، محمد، "الفرق بين الأشاعرة وأهل الحديث، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية 12، العدد 2 (2000): 80.

[4] الشهرستاني، الملل والنحل، 95.

الرأي بين الجبرية الذين نفوا قدرة العبد على الفعل، وبين المعتزلة الذين قالوا إن العبد يخلق أفعاله بنفسه[1]

3. **رؤية الله تعالى** : ذهب الأشاعرة أن الله تعالى يُرى في الآخرة، وأن المؤمنين سيرونه بأبصارهم، وقد خالفوا بهذا الرأي المعتزلة الذين نفوا رؤية الله تعالى، ووافقوا أهل الحديث الذين أثبتوا الرؤية[2].
4. **خلق القرآن** : ذهب الأشاعرة أن كلام الله تعالى صفة قائمة بذاته، وأنه قديم وأن القرآن هو كلام الله تعالى، مخالفين قول المعتزلة بأنه وموافقين لأهل الحديث الذين قالوا أنه كلام الله غير مخلوق[3].
5. **الإيمان والكفر** : ذهب الأشاعرة أن الإيمان تصديق بالقلب، وأن العمل ليس جزءاً من الإيمان، وأن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، وأنه لا يخلد في النار إذا مات على التوحيد[4].

د) تأثير الأشاعرة في الفكر الإسلامي

كان للأشاعرة تأثير كبير كغيرهم من الفرق على الفكر الإسلامي، حيث أصبح مذهبهم هو المذهب الرسمي لأهل السنة والجماعة في العقيدة، وانتشر في معظم أقطار العالم الإسلامي[5]كما أسهموا في تطوير علم الكلام، وألفوا فيه مؤلفات كثيرة، دافعوا من خلالها عن العقيدة الإسلامية ضد أراء وأفكار الفرق المخالفة والفلسفات الوافدة.

[1] بدوي، مذاهب الإسلاميين، 153.

[2] عبد الرازق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، 190.

[3] النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، 340.

[4] الأكاديمية الإسلامية المفتوحة، "المذاهب العقدية: الأشاعرة، تم النشر في 5 يناير 2023، تم الاطلاع في 15 مارس 2025http://www.islamacademy.net/article/ashariyya.،

[5] الحلو، "الفرق بين الأشاعرة وأهل الحديث، 82.

وقد أدى هذا النشاط الى انتشار المذهب الأشعري انتشارا واسعا، و قبولاً كبيرا من قبل العلماء والفقهاء والعامة، وخاصة من أتباع المذاهب الفقهية الأربعة، حيث أصبح المذهب السائد في المؤسسات التعليمية عبر أقطار عديدة من حواضر العالم الإسلامي ومدارسها، مثل الأزهر الشريف والزيتونة والقرويين، وغيرهم من المدارس[1].

المراجع: (كتب، ومطبوعات ، مواقع انترنت، إلخ)

- ابن خلدون، ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات محمد عليّ بيضون، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 1424ه/2003م.
- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب
- المالكي، أبو بكر عبد الله (توفي في القرن 5ه/11م)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسائهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحققه بشير البكوش، وراجعه محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1403ه/1983م.
- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة.
- القاضي النعمان، المجالس والمسارات.
- ابن الصغير المالكي (ق3هـ/ 10م)، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب، بيروت، 1986م.
- ابن فرحون المالكي (ت 799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العربية، بيروت الطبعة الأولى، 1996.

[1] النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، 345.

- البغدادي عبد القاهر (ت 429هـ) الفرق بين الفرق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ.
- البغدادي عبد القاهر، كتاب الملل والنحل، تحقيق ألبير نصري نادر، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة الثانية 1983.
- التنبكتي أحمد بابا (ت 1036هـ)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج – طبع على هامش كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون اليعمري (ت 799هـ) – دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- الدرجيني (ت 670هـ)، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاّي، مطبعة البعث، قسنطينة، بدون تاريخ.
- الشاطبي (ت 790هـ)، الموافقات في أصول الأحكام، (مجلدان – أربعة أجزاء)، تحقيق محمد حسنين مخلوف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مكان وتاريخ الطبع غير مذكورين.
- الشماخي (ت928هـ/1522م)، السير، تحقيق محمد حسن، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2009م.
- الشهرستاني (ت 548هـ)، الملل والنحل (ثلاثة أجزاء)، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، 1968. [والجزء الأول والثاني ضمن مجلد واحد، تحقيق أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، 1994.
- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ودار مكتبة الفكر، طرابلس (1965م).

- 2-المراجع:

- مصطفى الهروس، المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري نشأة وخصائص، ط(1418هـ/1997م)، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغربية.
- ابن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة (د.ت).
- نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري- الحادي عشر الميلادي، تبر الزمان، تونس(2004م)
- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1978.
- نسالم حميش، التشكلات الأيديولوجية في الإسلام (الاجتهادات والتاريخ)، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1993
- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1978.
- مجدوب عبد العزيز، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، دار ابن سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2008م.
- جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د/ط، 1984م.
- روجي إدريس الهادي، الدولة الصنهاجية- تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999م.
- بوبة مجاني، النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي.
- محمد أحمد عبد المولى : القوى السنية ببلاد المغرب، جزئين ،دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ،1985.
- الغبريني: عنوان الدراية.

- محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ،دار الثقافة ،1985.
- نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الاسلامي ،منشورات تبر الزمان ، تونس ، 2004.